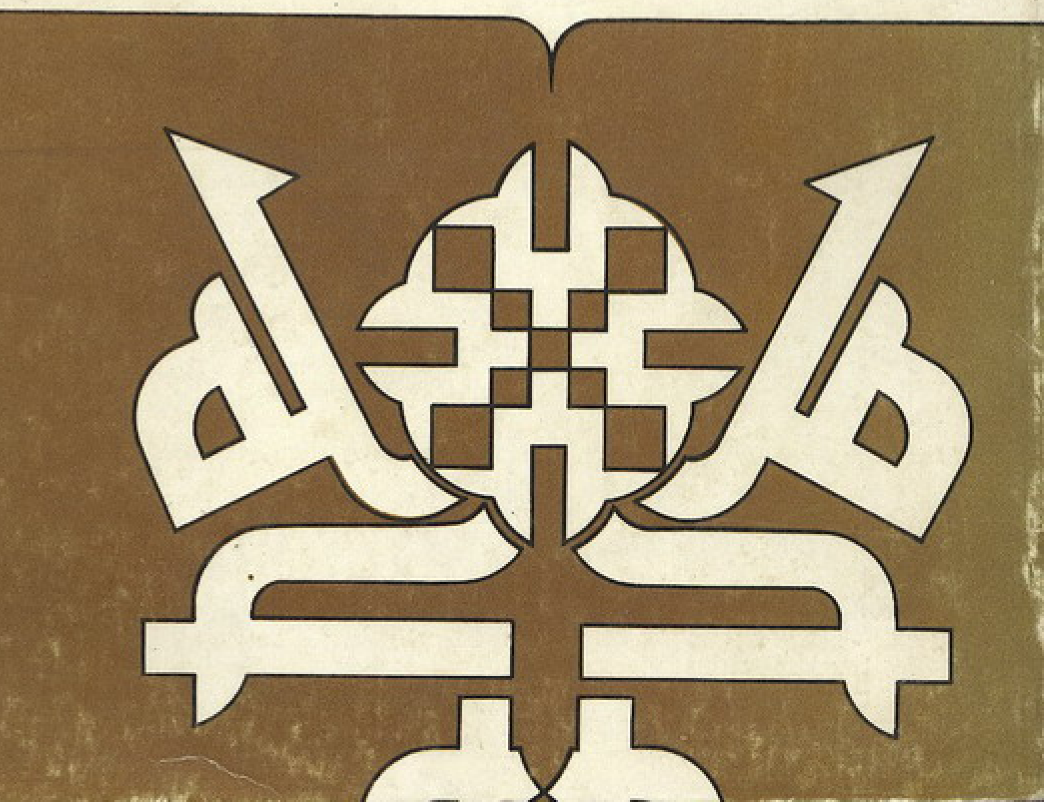
منطقة أيت با عمران

ملحمة البطولة

محمد الوديع الأسفي



محمد الوديع الأسفي

ملحمة البطولة

منطقة أيت با عمران

1982

طبع
بدار النشر المغربية
5-13 زنقة الجندي روش
الهاتف: 24-51-47
الدار البيضاء

رقم الايداع القانوني 1982/574

كلمة واهداء

من المعروف لدى القراء المهتمين بتاريخ أمتهم المترصدين لكل ما يجري من تطورات وأحداث داخل وطنهم بوجه خاص عبر ميادين النشر والثقافة والفكر، ان هذه الحلقات قد نشرت تباعا في الجريدة التقدمية «البلاغ المغربي» . ورغم ذلك فقد ارتأيت ان أجمعها في كتيب خاص بها لاسباب متعددة منها :

1) العمل على تصحيح بعض الأخطاء المختلفة التي وردت فيها، إما عن جهل أو خطأ أو نسيان. الآتية بعضها مني شخصيا والصادرة بالنسبة للاخرى اما من لدن المشرفين على الضرب أو الطبع أو التصحيح. أقول من أجل تصحيح الأخطاء التي تلقيت من أجلها ملاحظات لاذعة في بعض الأحيان من لدن اخوان مناضلين يهتمون بتاريخ تحركات الجماهير الشعبية الهادفة، بالاضافة الى أنهم ساهموا أوشاركوا بشكل أو بآخر في الأحداث التي تعرضت اليها في الحلقات الأخيرة.

2) نظرا لكوني عثرت بعد جهد جهيد على بعض الصور الخاصة بصانعي الأحداث المذكورة مؤخرا،

كمـا حصلت على أخرى تظهر الساحات أو المواقع التي جرت فوقها تلك الأحداث التاريخية . بالاضافة الى لقطات معبرة لمختلف المناطق التي شاهدت ارجاؤها ملاحم بطولية ومعارك ناذرة حاسمة. ابتداء من منطقتنا المجاهدة آيت باعمران الى الحدود الموريطانية جنوبا وشرقا الى أم العشائر المشرفة على مدينتنا المغتصبة تندوف مرورا بطرفاية وطانطان والقبائل المحيطة بها.

3) لتكون تلك الحلقات ـ بعد تصحيح الأخطاء الواردة فيها ـ مجموعة مصححة منقحة معززة بالصور المعبرةتكون الاستفادة منها أكمل وأشمل، والاطلاع عليها ايسر وأفيد.

4) إلحاح طائفة اخرى من المناضلين من الذين يعنيهم الأمر من قريب أو بعيد ولم تسمح لهم ظروفهم المعقدة بمتابعة الحلقات التي نشرت تباعا، أقول الحاحهم على هذا العمل ليتأتى لهم الاطلاع عن كثب من غير ما تعب في البحث عن جريدة نصف شهرية كثيرا ما تضيع اعدادها في مختلف الزوايا ويصعب الحصول عليها مهما بذلوا من جهود.

5) ولتكون أيضا أرضية نظيفة مستوية لأولئك الذين يتطلعون للقيام بالدراسات العلمية الأكاديمية نتعرف بها وعن طريقها ـ بمنتهى الدقة والموضوعية ـ على امكانياتنا النضالية الذاتية والروحية ، المادية والمعنوية.

وأخيرا أتقـدم باهدائها لشبابنا الواعي بمسؤوليته التاريخية تجاه امته ووطنه بالدرجة

الأولى. المومن بدوره الفعال في مسيرتنا النضالية ليتعرف أكثر عن حساسية جماهيرنا الوطنية وعن ردود فعلها ازاء التطورات التي تعرفها ساحاتها النضاليةمن سلب وايجاب بالاضافة الى كل ما يتأجج في وجدانهامن تطلع للحرية والتحرير عن طريق التضحية بكل شيء وبمنتهى البذل والسخاء اذا ما توفرت الشروط الضرورية من عدل وديمقراطية ومحبة واخاء من غير ماجور ولا شطط وبدون من أو تحريف أو كذب أو رياء ليعرف كيف يمشي بها = اذا كانت لديه الرغبة الصادقة والموضوعية ، ومتوفرا على العناصر الضرورية التى تؤهله لاداء واجباته الوطنية والقومية والانسانية = اقول ليعرف كيف يمشي بحكمة وتبصر بشعبه الطموح الى شاطئ التحرير المنشود.

م. د. س.

نونبر 1982

تقديم

منذ فجر التاريخ والحس الوطني الشعبي بالمغرب يسبق دائما شعور الحاكمين حينما تكون البلاد مهددة في سيادتنا معرضة لخطر داهم سياسيا كان أو اقتصاديا او غيره، وبالأخص اذا كان مرتقبا من الخارج فتتدفع الجماهير الشعبية لتدق ناقوس الخطر، ليهب الجميع في استعداد تام وتعبئة شاملة يقظة، دفاعا عن سيادة الأمة وشرف الوطن، لذلك لم يستغرب أي أحد من المهتمين بالتطورات الوطنية والنضالات الشعبية بالمغرب، حينما بدأت جماهيرنا الواعية بمسؤولياتها التاريخية تتحرك تلقائيا في غير ما جهة من المغرب ترسل النداءات المتكررة والتحذيرات الملتهبة - شأنها في كل الظروف عبر تاريخنا الشعبي الحافل بالأمجاد - أثناء التمهيد للتدخل الأجنبي لفرض الحماية، وبصور مختلفة أشد ضراوة وأكثر حدة مباشرة بعد التوقيع عليها في 30 مارس سنة 1912 ، تعبيرا عن الرفض البات للتدخل الأجنبي وتواجده على ارض الوطن. مهما كانت المبررات التي حاول العدو والمنساقون معه أن يضفوا بها على تواجده صفة المشروعية والواقعية، لذلك وجدنا الشعب المغربي قاطبة يرفض رفضا تاما المعاهدة الموقع عليها تحت الضغط والإرهاب والتآمر والتضليل بأشكال مختلفة وأساليب متنوعة. الموقف الذي دفع بالملك الموقع على المعاهدة المشؤومة في غيبة تامة عن الشعب وعن ممثليه من ذوي الرأي والمشورة. أقول دفع به الى التنازل على العرش بعد التوقيع عليها بقليل ، مبرهنا بذلك عن خطإه وندمه ، وليعلن تضامنه غير المباشر مع الشعب في موقفه الوطني الشجاع الذي انفجرت ثوراته المسلحة اثر ذلك منتشرة متصاعدة لتستمر

متواجدة صامدة في مختلف الأقاليم الى حدود سنة 1934 رغم التآمر والتحالف الاستعماري البغيض المعززبالجيوش الجرارة والمعدات الحربية الضخمة المتطورة،والمدعوم بأقطاب الإقطاع والخيانة والمتاجرين بالدين والوطن. فكانت شعلة حركة التحرير الشعبية تنتقل من ناحية لأخرى عبر الجبال والسهول في تسلسل تلقائي رائع ، وتجاوب عفوي محكم. مما جعل تلك الشعلة المقدسة المعبرة عن ارادة الشعب التي لا تقهر، تنمو وتتسع بعد التوقيع على المعاهدة المفروضة والمرفوضة طيلة ربع قرن، وحينما تتوقف تلك الثورات الشعبية الرائدة الى حين لأسباب داخلية وخارجية تطول الإشارة اليها. تنتقل روحها المشتعلة ـ بانتقال بعض رجالاتها أو أبنائهم الى المدن والقرى، وكلهم عزم وإصرار على مواصلة النضال من أجل التحرير والسيادة، انتقلوا ليندمجوا مع أهاليها ويتغلغلوا داخل القطاعات الحية المناضلة وبين صفوف الحركة الوطنية التي كانت تعيش مخاضها العسير والأخير،للدفع بعجلتها الى الأمام على درب الكفاح الصحيح. وفعلا لم يمر غير قليل حتى أصبحت تلك الروح الثورية الهادفة تتجلى من حين لآخر في العديد من المجالات والمواقف والقرارات ، وفي أشكال وصور جد ايجابية، ترهب العدو وتقلقه، بقدر ما تعمق الوعي السليم وتنميه. عن طريق الخلاص المرتقب، نشاهد ذلك في الحوادث التى جرت في عدة مدن وقرى، إثر إصدار الظهير البربري في السادس عشر من ماي سنة 1930، ونلمسه في حوادث أبي فكران الدامية بمكناس سنة 1937 ونراه في الأحداث الخطيرة التي جرت عقب تقديم وثيقة المطالبة بالاستقلال في الحادي عشر يناير سنة 1944 في كل من فاس والرباط وسلا ومراكش ووجدة وأزرو والخميسات وأسفي وغيرها من المدن والقرى، ثم في الإنتفاضة الضارية التي اندلعت في السابع من أبريل سنة 1947 في عدة احياء شعبية من مدينة الدار البيضاء المجاهدة عندما قام العدو باصطناع احداث دموية لعرقلة الرحلة الملكية المقررة الى طنجة في التاسع من أبريل سنة 1947 التي كان المقصود منها الإفصاح عن مواقف ايجابية قومية ووطنية، ثم يتجلى ذلك في شكل متطرف أعنف في التمرد

الهادف الذي قام به البطل الشهيد محمد الحنصالي بين قمم الأطلس المتوسط عبر النواحي الغبوية الوعرة الواقعة فيما بين القصيبة وتادلة وسد بين الوديان وغيرها خلال سنة 1951. وأخيرا في الحوادث الدامية المنذرة التي انفجرت بالدار البيضاء يوم 1952/12/8 عقب الاغتيال الشنيع الذي أستهدف الزعيم النقابي التونسي فرحات حشاد.

نعم، لقد كانت الأحداث الدموية العنيفة والمتلاحقة في حدة وتصاعد التي جرت ضد الوجود الاستعماري اثناء تقلص حركة التحرير الشعبية المسلحة وبعدها. قد خلفت العديد من الشهداء والضحايا نتيجة مساهمتهم الايجابية في تطوير الحركة الوطنية وتوجيهها نحو الأهداف التحريرية التي من أجلها اندلعت الثورات الشعبية المشار اليها. ان هذه الأحداث كانت تشير بأكثر من دليل على أن الجماهير الشعبية الواعية بمسؤوليتها وبدورها التاريخي الحتمي قد اختارت الطريق الصعب والكفاح المرير، وأنها تأثرت كثيرا بأسلوب وروح حركة التحرير الشعبية التي تسربت اليها عن طريق ابنائها الأوفياء الذين وفدوا على المدن الرئيسية بصفة خاصة لاسباب مختلفة، يحملون شعلتها الوهاجة في افكارهم وايمانهم الراسخ في قلوبهم وأهدافها التحررية في وجدانهم وعقولهم. وانها بهذا وذاك شرعت تعمل عملها المعهود وفعلها الطبيعي المنتظر. الأمر الذي تجلى بوضوح في الممارسات الفعلية والايجابية الملموسة الصادرة عبر العديد من أبناء الطبقات الشعبية الكادحة المستغلة، عبر القيام بأعمال جد متطورة هادفة ، استجابة للوعي المتجدد الملتهب، وللاحداث المتوالية والمتصاعدة من أجل توجيهها التوجيه الصحيح الذي تتطلبه المرحلة الحاسمة مع الدفع بها بأسلوب محكم ومدروس نحو الأهداف المنشودة. نعم كانت ملامح تلك الروح وسماتها قد بدأت تظهر واضحة عبر النضالات السياسية والنقابية وغيرها في عدة مواقف وأحداث تدفع بحذر ويقظة وحكمة ومسؤولية الى العنف الثوري المسلح، ويوحي بشكل أو بآخر بأن الكفاح الشعبي المسلح هو وحده القادر على تحقيق الرغبات الأساسية للامة التي تتلخص في الحرية والكرامة عن طريق التحرير الشامل للانسان والأرض

واسترجاع السيادة المغربية المغتصبة لاقامة ديمقراطية حقة وعدالة اجتماعية نزيهة، كانت المسيرة الشعبية التواقة الى الخلاص والتحرر. قد اصبحت تتحدى في كثير من الأحيان تعاليم بعض القادة الوطنيين المعتدلة، وتتساءل في كثير من الاستغراب عما وراء توجيهاتهم السلبية التي تدعو الى المهادنة والانتظار، ولم يمض غير قليل حتى بدأت عناصر المقاومة المسلحة المرتقبة تتكون هنا وهناك، لتنطلق شرارتها الأولى مستهدفة موقع العـدو وأذنابـه . الطبقـة المعـروفـة بعدائها الموروث للتطلعات الشعبية المشروعة (حوادث تادلة وضع قنبلة في احد المعامل وأخرى بجريدة القيامة واحداث كسر في وجه تمثال الجنرال ليوطي الذي كان مشيدا في قلب مدينة الدار البيضاء قبالة مقر العمالة حاليا وغير ذلك من الحوادث المعبرة عما تسعى اليه وتخطط له.)

كانت الأحداث الموفقة المذكورة كلها تشير باقتراب موعد الانطلاقة الشعبية الجديدة الواعية، وتحدد للمناضلين الشرفاء معالم الطريق الصعب الذي اختارت السير فيه من جديد، وبعد أزمة 20 غشت 1953 تحدث الرجة الكبرى، ويشرع البركان الشعبي الجبار في التحرك المنذر بالتمرد المدمر، لينفجر ماردا عملاقا، يحطم السدود ويكسر القيود ليذهب بعيدا. يربط الماضي بالحاضر في اصرار وتلاحم وتصاعد وانتشار ليغطي السهل والجبل ويربط المدينة بالقرية من جديد في وحدة وطنية عارمة مما أدى الى انهيار سريع للقوات الاستعمارية وعملائها ليصبحوا جميعا أمام المد الشعبي الخطير أشبه ما يكون بالتبن التائه في ضلال وضياع بين أمواج صاخبة هائجة غاضبة.

ويسترجع المغرب سيادته في عظمة وانتشاء. وحينما يمعن الباحث المتمهل النظر في هوية وانتماءات رواد وأبطال وشهداء تلك الثورات والتحركات الهادفة طيلة اربعين سنة تقريبا. يجدهم كلهم بصفةعامة من أبناء الشعب المحرومين الذين عانوا من الظلم أقساه. ومن الفقر اعتاه. ومن الاستغلال افحشه. ممن لهم صلة ما بأولئك الذين انحدروا هم أو ابناؤهم من المواقع التى اندلعت فيها الثورات الشعبية

الأولى أو من أولئك الذين كانوا هم أو آباؤهم يتجاوبون بصدق وإيمان وإخلاص. مع نداءات الثوار الرواد محمد عبد الكريم الخطابي ، موحا حمو الزياني، موحا وسعيد الزياني، أحماد ازايد، المدني الخصاصي، محماد الحنصالي وغيرهم من الأبطال الذين عانقوا مشعلهم ومشوا على دربهم حتى الاستشهاد. ولا أدل على ذلك من أن شهداء وضحايا المعارك والانتفاضات الضارية التي جرت بعد تقلص الثورات الشعبية المسلحة كانت لهم اوثق الصلات بالثوار الرواد الأوائل بشكل أو بآخر. عن طريق الأهداف المرسومة والتطلعات الشعبية المشروعة.

نعم كانت المرامي واحدة والغايات محددة مع اختلاف في الوسائل والأساليب. نظرا لاختلاف الملابسات والمعطيات والظروف هذا ، ومما لا شك فيه هو أن حركة التحرير الشعبية منذ انطلاقتها الأولى أوائل هذا القرن الى أن توقفت مؤقتا لظروف معينة لاسترجاع انفاسها لتستأنف مسيرتها النضالية الشاقة في أشكال مختلفة عبر الحوادث والأحداث التي جرت بعد ذلك بالاضافة الى الانتفاضات الشعبية المعبرة التى عرفتها الساحة الوطنية ابتداء من سنة 1959 الى الآن قد خلفت الكثير من الشهداء كانوا روادها المخلصين وقادتها العصاميين ووقودها المتأجج، تحدث التاريخ عن بعضهم بشكل مسهب، وتعرض لبضعة منهم بصورة موجزة ومبتورة. وغفل او تغافل عن الكثير منهم ـ رغم ان من بينهم الرائد العظيم والمفكر المعطاء والزعيم الفذ بكيفية تضم علامتي الاستفهام والاتهام على وجه كل مؤرخ معاصر لم يجتهد الاجتهاد المطلوب للتعرف او التعريف بأولئك الأبطال المغمورين ولو بجزء بسيط من تلك المجهودات المكثفة التى انصبت وتركزت حول العديد من الوطنيين والمصلحين من الذين كانت نضالاتهم محدودة ومردودياتهم متفاوتة متواضعة

من أجل هذا وذاك ، وتداركا للإهمال المخزي والتقاعس المزري ارتأيت ان أساهم فيحدود امكانياتي المتواضعة لأعرف ولو بلمحة عابرة بمعارك أبناء شعبنا المهملة وأتعرض ولو بشكل موجز ـ نظرا لقلة المصادر الوطنية أو انعدامها ـ لحياة اولئك الأبطال المهملين، الذين

شاركوا بجد في صنع تاريخنا الحديث، في حين أن منهم من استشهد في ساحة المعركة، ومنهم من مات في الظل مهمشا ومعزولا وراء استار من الإهمال والتغاضي، بعيدا عن الأضواء، يجتر الحسرات ويعاني الصدمات، ومنهم من لا يزال في خريف العمر يقاسي ألم الحرمان والخصاصة والتنكر والعقوق.

أقول ارتأيت القيام بذلك معتمدا بالأساس على مساعدة المفاضلين الغيورين على تاريخهم النضالي المشرق. على اولئك الذين عاشوا الثورات الهادفة والانتفاضات الشعبية الايجابية ، وساهموا فيها بشكل أو بآخر أو كان لهم اتصال بمن أشعلوا شرارتها وحملوا راياتها ثم قادوا مسيرتها في مرحلة من مراحلها الصعبة، نعم إنه لمن الواجب علينا جميعا ان نزيل غبار التجاهل والإهمال الذي لازال يتراكم على صفحات أعمالهم العظيمة . لنتعرف بدقة وإنصاف عن مراحل كفاحهم المرير، سيمـا وقد تآمر عليهم الزمان، وتحالف ضدهم الانحراف والبهتان فأوشكوا بذلك أن يطويهم التاريخ الذي صنعوه ظلما وعدوانا، لولا صيحاتهم المرعدة ونداءاتهم المزلزلة التي لازالت اصداؤها تتردد بين ظهرانينا وفي ضمائرنا عن طريق اولئك عاشوا مرحلة من مراحل نضالاتهم الرائدة أو ورثوا بعض اللقطات من أعمالهم البطولية وظلوا يروونها للاجيال الشابة المتصاعدة المومنة بأنه لا حاضر بدون ماض ولا مستقبل بدون ان يتعرفوا على تاريخ نضالات آبائهم وأجدادهم، هذه الأجيال التي لم تجد في المؤلفات الوطنية ما يروي عطشها ويشفي غليلها ويجيب عن تساؤلاتها وبالتالي ليصحح لها ما تقرأه في المؤلفات والمذكرات والوثائق التي خلفها الأجانب والدخلاء المملوءة في الغالب بالمكائد والدسائس والمغالطات والترهات

هذا وبفضل تلك الصيحات المدوية والنداءات المتوالية الدالة على تواجد روح الوفاء والإخلاص بين ظهرانينا. عزمت على العمل المذكور راجيا ان تسمح الظروف بانجاز ولو شيء من ذلك على الوجه المطلوب.

الحلقة الأولى

ربع قرن من الكفاح المسلح

إرتأت أن أبتدئ الحديث عن كفاح أبناء منطقة أيت باعمران المجاهدة لعدة أسباب أهمها :

1 ـ كونها من المناطق التي قاتل أبناؤها مدة طويلة (1912 ـ 1934) ضد دولتين استعمارتين، فرنسا واسبانيا تحالفتا ضدها وعملتا معا على احتلالها طيلة الفترة المذكورة إثر التوقيع على عقد الحماية وتقسيم أراضي المغرب فيما بينهما تنفيذا لبنود اتفاقية سرية أبرمت بينهما أوائل هذا القرن في غيبة تامة عن المجتمع الدولي بأجمعه.

2 ـ نظرا للإهمال المخجل الذي مني به هذا التاريخ الشعبي الحافل بالأمجاد والبطولات الذي لايكاد جيلنا الحاضر يعرف منه شيئا.

3 ـ اتصالي المباشر مع بعض من تعرف على أولئك الرواد الأوائل الذينكانوايروون معاركهم البطولية بمنتهى التواضع والحياء ونكران ذات، بالاضافة الى اتصالاتي المتعاقبة عبر العلاقة المذكورة مع أبنائهم الأوفياء الذين لازالوا يحملون في صدورهم صفحات مشرقة عن تلك الملاحم الخالدة التي تلقوا أصداءها عن آبائهم الأباة المغاور فبقيت رناتها المجلجلة تنفلت من السنتهم من حين لآخر عبر الذكريات الهادفة مما جعلهم يواصلون السير على دربهم الصعب فحملوا بدورهم شعلة المقاومة وجيش التحرير ابتداء من سنة 1952 الى سنة 1960.

4 ـ ولأنها أيضا وأخيرا تعد المنطقة الثانية في المغرب ان لم تكن الأخيرة على صعيد وطننا الكبير المغربي العربي، قاومت الدخلاء بوسائلها

الخاصة وامكانياتها المحدودة ولم تضع السلاح الا بعد ربع قرن تقريبا من الكفاح الشاق المرير الطويل عبر المدة المشار اليها.

انها الأسباب الرئيسية والامكانيات المتاحة التي شجعتني على أن أبتدئ الحديث في هذا الموضوع بالذات. راجيا أن تسمح الظروف وتتوفر الامكانيات الضرورية للكتابة في غيرها من المناطق التي قامت هي أيضا بواجبها الوطني معتمدة على نفسها في كل ما تتطلبه ظروفها النضالية الصعبة.

أقول ، من أجل ما ذكرت وغيره أبتدئ الحديث عن جهاد أبناء هذه المنطقة النائية الفقيرة المعزولة والمهملة التي لم تضع السلاح الا خلال سنة 1934 لأسباب داخلية وخارجية قاهرة. وبعد فرض شروط محلية استثنائية من لدن قادتها العصاميين.

أبتدئ الحديث عنها بايجاز لكفاحها الطويل المرير طيلة ربع قرن بعد التوقيع على العقد المشؤوم. انقاذا للشرف. واسترجاعا للسيادة. وصونا لكرامة الانسان المغربي. . العناصر الأساسية التي بدونها تفقد الأمة شخصيتها ومعالم وجودها. المكونات المقدسة التي أتت عليها بنود الحماية جملة وتفصيلا. فمن اجل مواقف أبناء آيت باعمران البطولية هذه، بالاضافة الى ما عرفته ساحتها بعد ذلك من انتفاضات عملاقة طيلة سنوات 1947 ـ 1956 تجاوبا مع الأحداث الوطنية المصيرية الهامة التي عرفتها بقية انحاء الوطن خلال الفترة المشار اليها ـ ثم انطلاقا من الثورات الشعبية المسلحة التحريرية الأخرى التي خاضها ابناؤها من جديد : ابتداء من سنة 1957 الى الفاتح من يبراير سنة 1960 تلك الثورات الرائدة التي لم تتوقف مسيرتها المظفرة بعد ما حررت تراب المنطقة كله تقريبا الا بعد تدخلات المسؤولين التى لازالت أسبابها الحقيقية مجهولة تثير مختلف التساؤلات وتضع علامات الاستفهام والاستفسار بدون ان تحظى بالأجوبة المقنعة او التعليلات المنطقية المعقولة.

أجل لقد عرفت ساحة منطقتنا المجاهدة عبر سنوات طويلة، انتفاضات وطنية رائدة ثم ثورات شعبية مسلحة تحريرية هادفة، قادها أبطال مغاور وتحمل مسؤوليتها ثوار أفذاذ شرفاء، استهدفت الاستعمار البغيض منذ تسرب الى ارضهم عن طريق الغدر والخيانة وبوسائل المكر والدس والتضليل. فلم يهادنه رجالها قط الا في فترات متقطعة كانت مجالا للتأمل والتخطيط، استعدادا لمعارك أخرى أشد ضراوة وأقوى اصرارا. ورغم الإهمال العابث والتغاضي السفيه من لدن الجميع. فان اسماءهم لازالت لامعة في الأذهان والأفكار. كما أن أصداء ثوراتهم مستمرة الاشراق في الضمائر والأرواح. يرددها المخلصون ويتناقلها المناضلون الصامدون عن طريق من تبقى من رفاق كفاحهم الرائع ليعيشها الأبناء الشرفاء - ويستنير برموزها الأحفاد الاوفياء.

هذا وقبل الدخول في الموضوع المعنون له، أرى من الواجب المؤكد أن اذكر بما يلي :

من المعلوم لدى المهتمين بتطورات الأحداث الوطنية الحاسمة بالمغرب أن كلا من الاتفاقيتين «اتفاقية عقد الحماية المبرمة بين المغرب الرسمي والحكومة الفرنسية والاتفاقية الموقع عليها فيما بين هذه والحكومة الاسبانية بعد الأولى بقليل المتعلقة خاصة بالتقسيم المتفق عليه سريا ببضع سنوات من قبل». لم تتعرضا بأية اشارة لمنطقة الصحراء المغربية وأيت باعمران وما بين هذه وتلك من القبائل ، مما ادى الى خلق تنافس حاد وتسابق سريع فيما بين الدولتين الاستعماريتين المذكورتين لاحتلال قبائل او أجزاء من المناطق السالفة الذكر. وفي المقدمة منطقتنا الثائرة الرافضة لكل مساومة أو حوار في الموضوع.

في هذه المرحلة الدقيقة كانت فرنسا تعمل جاهدة من أجل ذلك من شمال المنطقة وشرقها المحتلين من طرفها باسم المعاهدة المرفوضة. وكانت اسبانيا بدورها قد هبت من الغرب بحرا ومن الجنوب انطلاقا من صحرائنا المغربية التي كانت قد احتلت شواطئها. بمختلف الدعاوي الكاذبة والتبريرات الملفقة المكشوفة، لكن اليقظة الدائمة والتعبئة الشاملة المستمرة عبر قبائل المنطقة الواعية كانتا لكلتا الدولتين الغاشمتين لهما بالمرصاد. تحبطان المساعي المتواصلة وتلحقان بالتخطيطات الجهنمية المتطورة. الهزائم

2

المنكرة مما ابقى الوضعية تتلخص من جهة في هجومات غادرة خاطفة عابرة. او في محاولات متوالية فاشلة للترسب من هذا الجانب أو ذاك ، ومن جهة اخرى في مقاومة متواصلة صادمة واعية رادعة، تفشل الهجومات المركزة وتبيد التسربات المبيتة وتفسد التخطيطات المحكمة المدروسة. الى أواخر سنة 1915 وقبل ذلك بقليل كانت الجيوش الفرنسية تجتاح في جملة ما تجتاحه «باسم المعاهدة المفروضة» جنوب المغرب بقيادة القائد العسكري الجنرال لاموط متخذا من مدينة تزنيت الأسيرة مقرا لقيادته العسكرية، مضللا ومتآمرا مع العديد من قواد قبائل الجنوب وعلى رأسهم القائدان المشهوران بالتآمر والعمالة والاتجار بالدين والوطن. التهامي الگلاوي وحيدة نميس صحبة أعوانهم وأذنابهم بالاضافة الى المرتزقة والبسطاء والمشعوذين.

أقول بعد احتلال تزنيت وما حولها جنوبا شرع القائد العسكري وعملاؤه. يفكرون ويدرسون ويخططون استعدادا لاحتلال قبائل أيت باعمران المتمردة التى أزعجته أصداؤها واقلقته تحركاتها الموضوعة بمنهجية علمية وتقنية دقيقة للتحقيق من عدم وجود أية ثغرة في الموضوع، وبعد الفراغ من العمل المذكور يتقدم القائد العميل الحاج التهامي الذي كان أثناء الزحف الأخير غارقا في تأملاته سابحا في عالمه الخاص، يتقدم بمقترح كان قد خطط له من قبل مع مستشاريه ومخبريه الأقربين، كان مقترحه يتلخص في العمل قبل كل شيء في ارسال احد عملائه الأذكياء الى قواد المنطقة المتحدية الثائرة، من أجل مطالبتهم بفتح حوار معهم في موضوع التفاهم والمهادنة علهم ينصاعون ثم يستسلمون بعدما يحاولون اقناعهم بأنهم باسم الملك يتحركون لبسط روح المسالمة والمشروعية على عموم البلاد. (الأسلوب الحكيم الذي قد يؤدي الى احتلال المنطقة الوعرة الخطيرة بدون الدخول في حرب لا نعرف متى ستنتهي، ومن غير ما خسارة لا نستطيع تقدير فظاعتها الآن. ثـــم يــواصـــل الحديث فيقول : لعلهم يفهمون اذا ما شرحنا لهم بذكاء ودهاء. بأننا نعمل مجندين باسم الملك من أجل تطبيق الاتفاقية التي وقع عليها جلالته بمحض اختياره ورغبته. ونوضح لهم في نفس الوقت بأن امتناعهم يعد خروجا عن المشروعية وعن طاعة امير المؤمنين. الموقف اللاشرعي الذي قد يعرضهم لا محالة هم وقبائلهم لخطر الابادة والدمار.

كان القائد العميل يتكلم بحماس وانفعال واقتناع. كما كان الجمع يستمع اليه بانتباه تام لحديثه المتواصل، وفي مقدمتهم قائد المنطقة العسكري المسؤول عن نتائج المعركة او المعارك القادمة الذي ما كاد يسمع ويعي مضمون الاقتراح المطروح والتعليل الذي أتى بعده حتى وقف يصفق ويهتف باسم صاحبه المخلص لفرنسا ثم يُثني بالاطراء على سداد. رأيه وبعد نظره وسامي حكمته. ثم يطلب من الحاضرين الموافقة على الاقتراح السليم فلم يكن من المأجورين والأذناب المشاركين في الجلسة المغلقة الحاسمة الذين كانوا يعيشون في خوف وهلع الا ان يصادقوا تلقائيا وبدون أي تساؤل أو استفسار. وفي نفس اللحظة يعطي الجنرال الاشارة لتنفيذ المقترح في الحال فيقف صاحب الاقتراح لينادي على العميل الخطير المخاتل موسى العوينة الذي كان متواجدا بالباب ليكلفه بانجاز المهمة التي كان قد تدارسها معه قبل ذلك من مختلف الجوانب والاحتمالات.

انهذا ما كان يجري داخل صفوف العدو وعملائه، أما في الجانب الآخر، جانب أبطال المنطقة المصرين على الجهاد المقدس حتى النصر أو القبر، فقد كانوا على علم تام بخطط العدو جميعها، ملمين كل الالمام بكل ما يجري في مجالسه الخاصة أو العامة بواسطة مخبريهم المهرة الدهاة المتواجدين داخل صفوف العدو وبين مختلف هيأته واجهزته المسؤولة. بشكل مدروس محكم. مما جعل ابطالنا المغاور يتتبعون تحركات العدو عن كثب ويراقبون تخطيطاته عن قرب ويتعرفون في الحين عن جميع خططه الحربية المقبلة وأهدافه البعيدة والقريبة مع ما يصحب ذلك منخداع وتضليل ومخاتلة، المعطيات التي جعلتهم يسرعون – قبل خروج العدو من قاعدة تزنيت – الى الاعلان عن التعبئة العامة. يدقون ناقوس الخطر. ويرسلون فقهاءهم المناضلين وعلماءهم المخلصين المجندين. الى مختلف القبائل، يدعون الناس اجمعين عبر مختلف المساجد والأسواق وأماكن التجمعات العامة والخاصة، الى الاستعداد التام والتعبئة العامة للجهاد المقدس من أجل التضحية بالأموال والأرواح، بالاهل والمتاع، للوقوف صفوفا موحدة متراصة لتدمير الزحف الظالم المدنس وابادة الجور الحاقد المبيت. وفعلا تكون الاجابة العامة الشاملة فوق المنتظر. وترتفع المعنويات الى قمة الاشراق . والانفجار ،

ويصبح التسابق الى الخطوط الأمامية مضرب الامثال ومبعث الاعتزاز والافتخار. ويعود ميدان المواجهة المنتظـرة يرعـد ويبـرق . يمـوج ويزيد بأنباء القبائل كلها. وكان هناك في المقدمة أبطال أشداء ومقاتلون أفذاذ من كل القبائل التى أتت في المقدمة. كان هناك أبناء من أيت يخلف. وأيت النص. وأيت أعزة. وأيت عبد الله وكان هناك ايضا ثوار عصاميون من آيت الخمس وغيرهم من قبائل تكنة وما وراءها.

الحلقة الثانية

حوار بين الحق والباطل على خطوط النار

في خضم الاستعدادات الجارية هذه. يكون الرسول الوسيط موسى العوينة قد أخذ طريقه لاداء المهمة المنوطة به نحو حدود المنطقة الثائرة. وفي نفس الظرف يكون الفاتح من يناير سنة 1916 قد حل. وبمجرد ما يصل الوافد الى الحدود المشار اليها يجد احدى فرق حراسة حدود المنطقة الرافضة. واقفــة في انتظاره فيتقدم رئيس الفرقة ليسأله عن هويته ومقصده ومهمته. (وهو المطلع عن كل شيء، العارف بكل التفاصيل) وفي الحين يعرف (بكسر الراء المشددة) الرسول الوسيط بشخصيته ومقصده مع الاشارة الى مهمته السرية فيتظاهر رئيس الفرقة بالمفاجأة المثيرة ويأتي من الاشارات والحركات ما يقنع الزائر الساذج بغياب اجهزة المخابرات لدى من أتى عندهم لأداء المهمة الصعبة التي اذا نجح فيها سيحظى بالتقدير والاعجاب وتتقوى حظوظه في الارتقاء نحو القمة لتتوفر له وسائل الاستغلال التي يطمح اليها باستمرار.

أثناء هذه التأملات والتمنيات يكون رئيس الحرس قد تهيأ بعد ما تسار مع نوابه وأعطاهم التعليمات اللازمة التي تتطلبها الظروف المستجدة ليرافق الرسول الوسيط الى حيث مقر القائد الأعلى للمنطقة الصامدة محند ابن الشيخ همو الخلفاوي ويشرعان في السير نحوه في حديث متشعب متنوع يعرف الرئيس من خلاله أسرارا هامة من غير ما شعور من لدن الوافد بذلك. وبعد الاقتراب من المكان المقصود يطلب الرئيس من رفيقه الانتظار قليلا في مكان مجاور. ليذهب الى حيث يقيم القائد الأعلى لاحاطته علما بماموريته، وفعلا يأوى الوافد الى المكان المشار اليه وحوله مجموعة من

المساعدين الأقربين للقيادة العامة. الشعبية ويذهب الرئيس منفردا ليتصل بقائده الأعلى ليشعره بوصول الرسول وبالمهمة التي جاء من أجلها ورغم ان القائد كان أيضا ومن معه يعرفون عن ذلك كل شيء. فانه يطلب منه الانتظار قليلا في الخيمة المحادية لخيمته وينصرف ليجتمع مع مساعديه ومستشاريه من قادة وغيرهم للبث في ما يجب اتخاذه نحو المهمة التي أتى من أجلها الرسول بعدما اصبحت حقيقة ملموسة وقد كانت لديهم من قبل مجرد خبر من الأخبار التي كانوا يتوصلون بها من حين لآخر. ولم يمض غير قليل حتى ينادي على رئيس الحرس ويخبره بأن الموعد مع الرسول الوافد قد حدد صبيحة الغد. وبمجرد طلوع شمس اليوم الموالي يكون الوسيط صحبة الرئيس متجهين الى حيث مقر القائد محند. ولدى وصولهما أمام المقر - الخيمة - التى لا تكاد تختلف لا في مظهرها ولا في مخبرها عن مثيلاتها المآت المنتشرة هنا وهناك. يطلب منهما حارس المقر الانتظار لحظات ، ريثما يحضر القائد محند من جولته الصباحية حول بعض مراكز حدود المنطقة، وبعد قليل يحضر القائد صحبة مجموعة أعوانه ويأمر بادخال الرسول الوافد وفي الحين يدخل الوسيط ليمثل منحنيا في تودد مصطنع ، وتأدب زائف مكشوف. مادا يده للمصافحة في حيرة وتردد وانكسار. ويرد القائد التحية في اقتضاب وتفرس. ثم يشير الى الزائر بالجلوس قبالته. وبعد مقدمات المجاملة العادية عبر الاستطلاع والاستخبار يطلب منه القائد محند الافصاح عن المهمة المنوطة به بكل التفاصيل والجزئيات. وفي بلبلة متناهية وارتباك صارخ مذهل. يتحرك الوسيط ليتكلم متلعثما مندهشا ليبلغ للقائد المسؤول. ان مهمته تنحصر في طرح مقترح أمامكم تقدم به القائد الحاج التهامي الگلاوي وصادق عليه المسؤولون المدنيون والعسكريون الذين يتجهون بجحافيلهم العسكرية لغزو هذه المنطقة الوديعة الفقيرة. ان المقترح المذكور يلتمس منكم العمل على اجراء اتصال مباشر معكم حيث يقيمون بأولاد جرار للتباحث معهم في موضوع الأوضاع العامة في البلاد. مع فتح حوار حولها عساه يؤدي الى التفاهم والمهادنة تلافيا لحرب مدمرة وكوارث محققة مبيدة. وما كاد الرسول الوسيط ينتهي من كلامه حتى يقف القائد محند معربا بذلك عن انتهاء الجلسة واتمام الكلام. ويقف بوقوفه الرسول الوسيط مستطلعا متفرسا عله يتعرف من خلال الملامح والاشارات عن

ردود الفعل لما أدلى به، وفي اللحظة يظهر بباب الخيمة ـ المقر ـ أحد حراسها في انتباه يقظ واستفسار صامت. فيشير عليه القائد بمصاحبة الزائر الى حيث ينتظر الجواب المرتقب. ويذهب القائد بدوره الى حيث يجتمع مع مساعديه ومستشاريه الممثلين لمختلف القبائل المتطلعين بدورهم لمعرفة ما أتى به الرسول الوسيط . وفي اللحظة ينصرف الوسيط بعد همهمة السلام والوداع في انتظار الجواب المرتقب. ويذهب القائد بدوره الى حيث يجتمع مع مساعديه ومستشاريه الممثلين لمختلف القبائل ليخبرهم بماجرى وبكل الخلفيات والأبعاد ويصل القائد لدى الجمع ليحيطه علما وبكل دقة وعن كل ما راج، وبعدما يعلق ويعقب ويحلل يطلب منهم جميعا الادلاء بآرائهم فيما يجب القيام به بمنتهى الصراحة والإخلاص عملا بقوله تعالى وأمرهم شورى بينهم وقوله جل علاه وشاورهم في الأمر. واثر ذلك يفتح باب المناقشة على مصراعيه ويشرعون في تحليل المقترح ودراسته من مختلف الجوانب فيطرح البعض منهم تحفظات ايجابية وتنبيهات هادفة تقابل من الجميع بالتأييد المطلق. وفي الأخير يقررون الموافقة على اللقاء تحت مظلة الحوار المقترح وفي الحقيقة يكون الهدف الرئيسي :هو القيام، بجولة دراسية لاستطلاع احوال العدو المادية والمعنوية مع التعرف عن كتب على مدى استعداداته العسكرية بصفة خاصة ،شرط ان يصاحب القائد الأعلى المرشح لذلك بضعة أفراد من أوعى العناصر وأقواها دهاء ومهارة.

وفي فجر اليوم التالي يكون الاستعداد قد تم للرحلة التاريخية من مختلف الجوانب والاحتمالات. فيما بين القائد ومرافقيه. وعند الظهيرة يأخذون الطريق نحو المركز المحتل فوق جياد جموحة وثابة في صهيل مرعد تطلب السماح لها بالانطلاق السريع الى حيث يقصدون. وفعلا ترغم راكبيها على التخفيف من الكبح الرادع الجارح لتحركاتها العنيفة ووثباتها المجهدة المتتابعة فتنطلق مرحة مزهوة. ولم يمض غير قليل حتى يكون الركب التاريخي قد تسلق جبل أيت همان وانتر المطل على القرية المحتلة ـ تلعينت أولاد جرار ـ التي تعسكر فيها جحافيل الأعداء والعملاء فيتقدم القائد محند ليأمر الوسيط بالالتحاق فورا بمعسكر سادته ليخبرهم بوصول الوفد المقترح. وفي الحين ينصرف هذا ليجتمع القائد برفاقه الأشاوس ويطلب منهم الانتظار فوق قمة الجبل في يقظة وانتباه وليتتبعوا خطوات رحلته من

بعيد ليتعرفوا من خلالها عن الملامح التي تستطيع المحاورة المحتملة ان تعكسها وليستنتجوا من محيطها ما يستدل به عن تطوراتها واتجاهها ثم يتجه على ظهر فرسه المتوثب الى المعسكر قاصدا الى حيث نصب الجنرال خيمته المتميزة بالعلم الفرنسي الذي كان وحده يرفرف عليها. وما كاد يصل الى باب الخيمة المتصدرة حتى يجد القواد «المغاربة» وفي مقدمتهم الكلاوي وحيدة واقفين ببابها في انتظاره صحبة مجموعة من ضباط العدو الدخيـل وينزل قائدنا الهمام من على ظهر فرسه الجموح ليتقدم نحو مستقبليه في شمم وإباء محييا بقوله السلام على من اتبع الهدى وفي دهشة وارتباك يأتي رد المستقبلين متنوعا مختلفا يعكس مواقفهم من هذا اللقاء وما سيتخلله من حوار صريح يحدد الآفاق ويزيل عنها الغيوم التي تحجب أبعادها وبعد تعابير المجاملة والترحاب المعهودة توضع أمام الجميع كؤوس الحليب وأطباق الثمر. وبعد حين يدخل معهم في صميم الموضوع فيستفهم ويسأل عما يقصدونه من هذا اللقاء بعد هذه الاستعدادات الحربية الهائلة ـ ثم يشير بيده الى مختلف الجهات التي تعسكر فيها جحافيلهم من حوله ومن خلفه وعن شماله ويمينه بالاضافة الى ما يكتنف ذلك من معدات حربية ضخمة جد متطورة وأخيرا يعقب قائلا. وبعد هذا وذاك فماذا تقصدون من هذا اللقاء ؟ هل هو من أجل الحوار من أجل الوصول الى سلم. يضمن الشرف ويصون الكرامة ؟ أم هو التهديد المباشر بالدمار والابادة بواسطة أسلحة فتاكة تحطم الآكام والجبال اذا ما وقع رفض أو وضعت شروط. أثناء ذلك يظهر الجنرال لاموط قائد مناطق الجنوب المحتلة باشًا مرحبا متظاهرا بالطيبوبة والسذاجة. بعد هذا يأتي جواب القائد العميل صاحب الاقتراح السالف الذكر مجيبا عن تساؤلات واستفسارات قائدنا البطل قائلا أيها القائد لماذا لم تستسلموا وقد قبل الملك بالأمر الواقع وأمضى وثيقة الحماية بمحض إرادته ورغبته واني والقواد وهذا الجمهور الحاشد من أبناء البلاد. (وأشار بيده المرتعشة الى الجموع الفقيرة التي ساقها أمامه بمختلف الوسائل والأساليب) جئنا نتجول عبر المناطق الجنوبية لتبليغ رسالة السلطان اليكم بالاستسلام والطاعة والرضى بقضاء الله وقدره، ثم يستأنف حديثه في شيء من الوعيد الصريح تارة وتارة أخرى يأتي به في صيغ مغلفة بأردية الشفقة الكاذبة والرحمة المصطنعة. قائلا وان كل من امتنع وعصى سيكون قد خرج

عن طاعة ملكه وربه. وعرّض نفسه مع من مشى في ركابه للهلاك في الدنيا والآخرة، ثم يختم القائد العميل حديثه بقوله تعالى : يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم. هذا.وما كاد يتم كلامه ويتطلع بانفعال الى وجه مخاطبه ليتعرف عن مدى مفعول كلامه على ملامح وجهه ، حتى يتصدى له القائد محنـد المجـاهد والمؤمـن متحديـا في شموخ وهدوء قائلا، لقد قيدتم الملك وضللتموه بالكذب والمخاتلة والبهتان حتى اصبح لا يعرف أي شيء عن تطلعات أمته وطموحاتها وعن آرائها الحقيقية فيما يتعلق بمواقفها إزاء الأحداث المتطورة والمستجدة.

نعم لقد احطتموه بأعدائه واعداء شعبه الرئيسيين حتى أصبح يعيش تحت نفوذهم المادي والمعنوي الوضعية اللاشرعية التى للعدو الدخيل.فيها الف يد ويد تعمل من بعيد تارة وعن قرب أخرى بمنتهى الدس والمكر والدهاء. أقول بهذه الوسائل التضليلية غدا الملك مشلول الإرادة ينفذ تعاليمكم المضللة وأهدافكم الدنيئة. ثم يختم كلامه في تحد صارخ قائلا، إننا أبناء منطقة أيت باعمران نحكم بعدم شرعية الوضعية الجديدة التي تحكم شمال بلادنا تحت وطأة التآمر والاكراه. ولا أدل على ذلك من أن الملك الموقع على عقد الحماية قد تنازل وانسحب وبذلك اتخذنا الموقف الذي نراه جميعا اكثر سدادا وانسجاما مع تعاليم ديننا الحنيف. وعقب ذلك يجيبه الگلاوي الذي صفعه الجواب واذهله المنطق الصحيح قائلا : والآن على اي شيء انتم عازمون ؟ أعلى الطاعة والاستسلام ؟ أم على الرفض والعصيان ؟ فيأتيه الجواب صريحا مقتضبا يشير الى ان قرارات المنطقة تأخذ باستشارة مع كافة العناصر المؤهلة لذلك وبعد غد سيأتيكم الجواب من فوق هذا الجبل الذي يصغي بخشوع الى حديثنا التاريخي ثم يشير بيده ورأسه اشارات أقرب الى التهديد منها الى التوديع، ويمتطي صهوة فرسه الذي كان يملأ الفضاء صهيلا وزئيرا ويهمزه بعدما يلوي عنانه بمهارة لينصرف في غضب لاهب.كأنه كان يترجم بدوره الجواب المبهم المقلق، تاركا الكل في ذهول مهول.اما مخاطبه القائد العميل فقدكان يناجي نفسه في همس من غير ما شعور قائلا. يا له من شهم شجاع تالله انه لعلى الطريق السديد ونحن في ضلال مبين، ثم تتيه نظراته الشاردة بعيدا في صمت كئيب، وذهول صارخ ، ولم يسترجع وعيه الا بعدما ينفض المجلس محدثا

صخبا وضوضاء ، ويرجع بطلنا الشهم صحبة رفاقه الأشداء ليجد أبناء منطقته الثائرة ينتظرونه مرددين اهازيج التضحية والفداء منشدين ازجال التفاني والصمود، نعم كانت الحشود هنا وهناك. في رهان وتسابق مع الزمن. هناك جيش الظلم والطغيان قد أتم استعداده ونظم صفوفه ووضع خطوطه وخططه، تدعمه دولة قوية عصرية وتسانده جحافيل الاقطاع والخيانة والتآمر والاتجار، وهنـا جيش العدالة والكرامة والشهامة والإباء، يستعد في نطاق امكانياته المحدودة ووسائله البدائية الضعيفة. كان كل فرد منه قد أتى ببندقيته القديمة الموروثة عن الآباء والأجداد وأخذ من قوت عياله وأبنائه ما يتزود به. نعم لم تكن الحرب القادمة بين بلدين متساويتين في العتاد والمتاع . في الخبرة والاستعداد، بل ستكون بين دولة أوربية متطورة غنية بالعلم متفوقة بالمال والخبرة لها جيش مجهز بأحدث الأسلحة وأفتكها متوفرا على كل الحاجيات منظم تنظيما عصريا متقدما بالاضافة الى دعم قوي مستمد من لدن اقطاعيين محليين لؤماء باعوا ضمائرهم وحياتهم وأموالهم للعدو الدخيل من أجل المحافظة على سلطتهم الفردية المطلقة ولحماية ممتلكاتهم وامتيازاتهم واراضيهم الشاسعة الخصبة التي اكتسبوها عن طريق النهب والبطش والغدر.

أقول لم تكن الحرب المرتقبة بين دولتين متقاربتين كفاءة وقوة، وانما ستكون بين دولة قوية متقدمة غنية وبين قبائل ضعيفة متخلفة الا من الوعي والإيمان ليس لها من المواد الاساسية الا ما تجود به اراضيها الشحيحة التي يغلب عليها الجفاف، مواردها وامكانياتها محدودة ووسائلها وأساليبها جد بسيطة، تعتمد في حربها القادمة على أسلحة قديمة متلاشية، وعلى ما يقع بين ايادي ابنائها المقاتلين من أسلحة عقب انهزام هذا العدو أو ذاك. لم يتدرب رجالها عن فنون الحرب الحديثة ولم يعرف أي واحد منهم باب أية مدرسة حربية حديثة كانت أو قديمة. وانما زادهم الأساسي في المعركة القادمة الفاصلة. هو ايمانهم الراسخ الذي لا يلين وعزمنهم القوي العملاق الذي لا يحد. كما ان عتادهم الوحيد كان ولايزال هو الاصرار المارد والأمل الطافح المتزايد في النصر المبين.

الحلقة الثالثة

انتصار الايمان الأعزل على الطغيان المسلح

... بمجرد رجوع القائد امحند من معسكر الأعداء والعملاء الى منطقة الإصرار والصمود، حيث يرابط على حدودها المنيعة جيش الاباء والشرف. يعقد اجتماعا طارئا مستعجلا مع نوابه ومستشاريه الأقربين الذين كانوا بدورهم يرتقبون عودته في يقظة وتأهب وحذر. وفي جو مفعم بالانتباه المتناهي ويروي لهم قصته بجميع فصولها مع عميل العدو مستعرضا نفس الجمل المتبادلة بينهما تقريبا ـ ثم يعلق ويعقب على ما لاحظه من اندهاش بما فيهم الجنرال لاموط القائد العسكري العام. ثم ينهي حديثه بما انتهى به الحوار المحتد. في ابتسامة معبرة واشارات تجسد الرفض البات والتحدي المطلق. وما يكاد حديثه المركز المسؤول يتم وينتهي حتى يأتي الجواب تكبيرا وتهليلا وهتافا ـ من لدن جميع الحاضرين ـ بحياة قائدهم الشهم المعبر الأمين عن موقف أبناء المنطقة الاباة. ثم تنطلق الطلقات النارية من مختلف الجهات تتجاوب عبر فرق الجيش الشعبي المتدفقة إيمانا وشهامة واصرارا.

نعم كانت الطلقات النارية المنبعثة من بين صفوف ابناء المنطقة الأبطال ، تعبيرا صارخا عن التأييد المطلق للجواب الفعلي الحاد الذي انطلق من لدن النواب والمستشارين المتجلي في التصفيقات الصاخبة المصحوبة بالتكبير والتهليل والهتاف المرعد. الجواب الذي يرمز الىالخطة السليمة والرأي الصائب الذي يدعو الى المقاومة المستمرة حتى النصر أوالاستشهاد وبعد ضجة التأييد المطلق ورجة الفرحة الكبرى، يقف القائد

محند ـ الذي فاض بشرا وسرورا ـ ليرد على التحيات النضالية الداعية الى الجهاد المقدس بمنتهى التقدير والاكبار، أقول ليقف متأثرا منفعلا ودموع الاعتزاز والفخر تنهمر من عينيه البراقتين المعبرتين عن الامتنان اللامحدود. ثم يلتفت ليأمر احد رفاقه في الرحلة التاريخية الحاسمة بالرجوع ضحى الغد الى قمة الجبل المطل على معسكر العدو ليطلق من فوقه نحو السماء عدة طلقات نارية تعبيرا عن الموقف المتخذ . ورمزا لرفض الاقتراح المطروح من لدن العميل الكلاوي باسم الدخلاء الغاصبين والخونة الضالعين. وفي نفس الوقت اعلانا للحرب.

وفي الغد زوالا يكون العدو وأعوانه قد الموا بالجواب الواضح الملموس عن طريق الطلقات المنذرة، وبعد يومين أو ثلاثة يتعرف قادة أيت باعمران بوسائلهم السرية الخاصة عن تحركات العدو وحلفائه التاريخيين والطبيعيين استعدادا للزحف نحو المنطقة التي ترفض الاستسلام والركوع للظلم والعدوان فتجتمع القيادة العامة لدراسة ما يجب اتخاذه وبعد التعبئة الشاملة يخططون لنسف جيش العدو من الداخل. ثم يعهدون الى الداهية البطل الحسين انجار للقيام بمهمة انتحارية تلحق بجيش الأعداء شر هزيمة اذا ما نفذت بحكمة ودهاء وبمنتهى الشجاعة والحماس الواعي المنتظر. وفعلا تعرض المهمة الشاقة على البطل انجار بعدما تشرح له مخاطرها وأهوالها ونتائجها الايجابية على مجموع أبناء المنطقة بأجمعهم فيقبلها بكامل الفخر والاعتزاز.

كانت المهمة تتلخص في أن يقوم المكلف بانجازها بالتسرب داخل صفوف العدو. ثم يندس داخـــــل جهازه الأعلى بمختلف الوسائل والطرق ليعمل بدهاء وذكاء.ليكسب قبل كل شيء ثقة العملاء الرئيسيين بأساليب المكر والاحتيال حتى اذا ما ظفر بذلك، يعمل على انتزاع انتباه وثقة قائدهم الأعلى الجنرال لاموط وعند ذلك يرشح نفسه ـ بعدما يمهد لذلك تمهيدا محكما ـ للقيام بدور المرشد الأمين بدعوى معرفته الدقيقة بمسالك المنطقة وسبلها الخاصة، ليتسنى له بذلك تضليلهم والذهاب بهم عبر ممر خطير معين. تنفيذا لخطة سرية مبيتة متفق عليها مع مجموعة خاصة.

تعمل بجانب القائد محند وتخطط معه. لتجري المعركة الحاسمة في الظروف التي اختارها القادة الثوار.

وفعلا يقوم انجار بالمهمة التاريخية على الوجه المطلوب ويؤدي ادواره تباعا بكيفية مدروسة محكمة. فتنطلي الحيلة على الأعداء جميعا بفضل مهارة ودهاء بطلنا انجار فيقودهم جميعا الى الفخ الذي يخترق جبل اكالفن، الموقع المحدد للمعركة الفاصلة حسب الخطة السرية المدروسة. هذا، وما كاد جيش العدو يتوسط المكان المعين عبر الفخ المشار اليه، حتى تنقض عليه جموع ابطال ايت باعمران المجاهدة متدفقة في سرعة خاطفة ومفاجأة من مختلف أعالي الجبل الشاهق بعد ما تسد عليه منفذي الفج الرئيسي بفرقتين انتحاريتين من الشباب المؤمن المتحمس الذي يرى الموت في ساحة الجهاد منتهى الشرف. أجل كان الانقضاض قويا مدمرا مصحوبا بالتكبير المرعد والتهليل المزبد لتجرى المعركة التاريخية كما ارادها ابطالنا الاشداء وفي المكان والزمان المحددين لها. وبالطرق والأساليب اللتين تصاحبان تطوراتها الحاسمة لتستمر ضارية ملتحمة. عبر الخطط الموضوعة لها طيلة عشرة ايام من يناير سنة 1916، لتنتهي بهزيمةنكراء لجيش الدخلاء والعملاء الخونة الضالعين تاركين جميعا في ميدان المعركة الآلاف من القتلى والجرحى من خيرة جنودهوضباطه وعملائه بالاضافة الى العديد من المعدات الحربية المتطورة من مختلف الأنواع والأشكال والأحجام. ولقد لعب في هذه المعركة الخالدة البطل المقدم شربات محمد الخلفاوي دورا أساسيا عجل بالاندحار المخزي الذي مني به جيش العدو الدخيل. ذلك انه قتل احد ضباط العدو الكبار الذي يشبهه سحنة وقامة وملامح وتحركا ثم اخذ ثيابه متنكرا فيها واندس هو ومجموعة من رفاقه داخل صفوف العدو ليمزقوها تمزيقا. مما أدى الى ارتباك جيوش العدو وحيرة قادتهم في صور مفعمة بالهلع المدمر. الأمر الذي كان له اكبر الأثر في خذلانهم وانهيارهم ليتراجع ما تبقى منهم منكسرا مندحرا نحو مقره الرئيسي بتزنيت. يفجره الحقد والحنق ، ويعبث به البغض الأسود الحالك. . أقول يتراجع لا ليستكين ويهادن. وانما ليراجع خططه ويرمم صفوفه ويستعد اكثر للانتقام.

ازالة لثوب العار الذي لبسه فضفاضا صابغا اثر الهزيمة الشنعاء الذي فقد فيها من جملة ما فقده آعتى عملائه ، القائد العميل حيدة نميس احد ركائزه المشهورين الذين ناصروه بدون حدود أو شروط ومشوا في ركابه بكل اخلاص وتفاني حتى قتل شر قتلة من لدن المجاهدين الشباب ثم فصلوا رأسه عن جسده الممزق ورفعوه عاليا فوق عمود طويل، ثم انصرفت به مجموعة من المتحمسين الواعين، تتجول به عبر قبائل المنطقة. تشهيراً به وعبرة لاولئك العملاء المتاجرين الذين باعوا انفسهم للعدو الدخيل على حساب امتهم ووطنهم ودينهم. وبالتالي انذارا للمترددين والمتخاذلين المتهاونين في دعم مسيرة حركة التحرير الشعبية، وقد كاد نفس المصير الحالك يكون من نصيب صنوه في الخيانة ورفيقه فيالعمالة والغذر الحاج التهامي الگلاوي لولا الحراسة المشددة المحيطة به والمتوفرة له من لدن أسياده والتي ازدادت بشكل ملحوظ بعد مقتل الخائن حيدة ـ ورغم ذلك فلولا تراجعه السريع الى الوراء بعيدا عن قلب المعركة، حين حمى وطيسها. وامتد لهيبها ذات اليمين وذات الشمال في جنوب مفتون وامتداد كاسح. للقي نفس المصير .
وبعد الهزيمة المنكرة والصدمة العنيفة المدمرة التي حاقت بجحافيل العدو من كل الجهات. يأمر قائده الأعلى فلوله الممزقة الى التراجع نحو قاعدته الرئيسية تزنيت ليستعد أكثر لمعركة اخرى أشد ضراوة تحقق حلمه الكبير. لذلك فانه لم يكد يحل بقاعدته العسكرية حتى يشرع في التخطيط بموضوعية ادق وأعمق بدعم وأمر وتوجيه من دوائره العليا بباريس، من أجل الحصول على الانتصار الواجب حتى لا يظهر أمام من خضعوا له مكرهين بمظهر العاجز المغلوب عن أمره. وفعلا لم يمض غير قليل حتى ينكب العدو المطعون في كبريائه على ترميم صفوفه وتعزيز فرقه مع مراجعة تنظيم كتائبه بكيفية شمولية ومفصلة تفصيلا محكما مع اعادةالنظر في عناصر قيادتها بكيفية مدروسة على ضوء مجريات الأحداث الماضية ونتائجها سلبا وايجابا. بالاضافة الى تجديد الوسائل والأساليب والطرق وتطويرها تطويرا علميا مدروسا من القمة الى القاعدة مع الأخذ بعين الاعتبار المعطيات المستنتجة من المعركة السالفة . كان ذلك كله منأجل الحصول على من يعيد له ولمؤيديه الاعتبار والمكانة اللائقة.

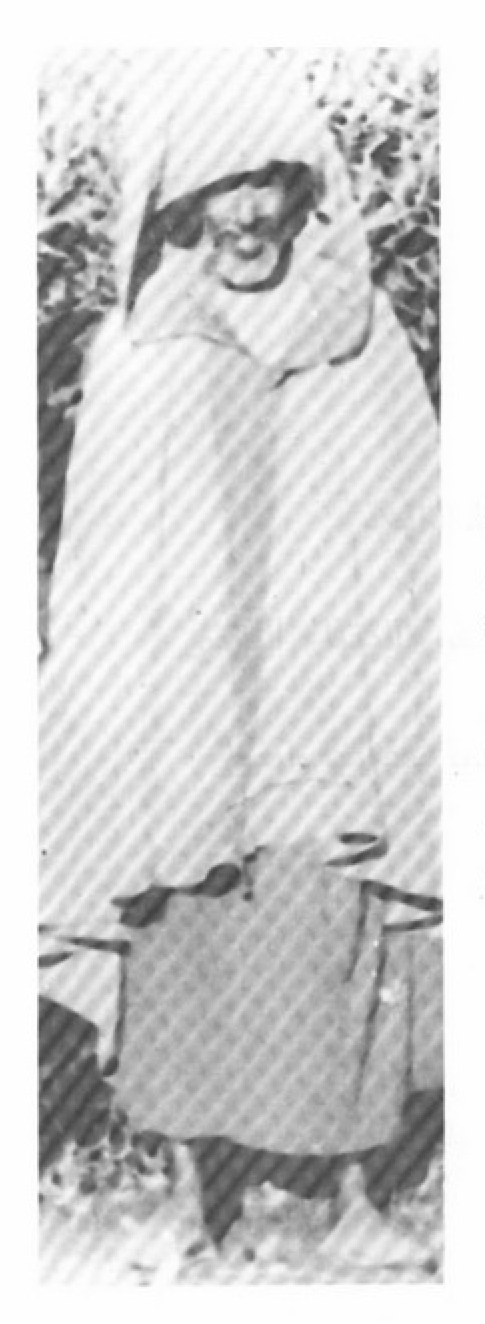
أما في الواجهة الأخرى واجهة الايمان العملاق والارادة الوطنية الصادقة فقد رجع جيشها الشعبي المظفر يردد اهازيج النصر والافتخار في يقظة تامة وحذر متناه. يتتبع اخبار العدو. ملماً بتحركاته واستعداداته عارفا بخططه ومنطلقاته وأهدافه. مستعدا كل الاستعداد لملاقاته في الميدان الذي يختاره. وفي الساعة التي يحددها. قد أعد بدوره ما يمكن اعداده ـ في اطار امكانياته المتواضعة ووسائله البدائية ـ معتمدا بالأساس على الأسلحة الصغيرة التي غنمها من العدو الغاصب عقب إنهزامه الشنيع اثناء المعركة السالفة. بعدما اقبر عتاده الثقيل الذي لم يتعرف عن طرف استعماله نظرا لمستواه التقني البسيط الناتج عن ظروفه الخاصة.

وعندما يحل شهر ابريل من نفس السنة تأخذ حشود الأعداء طريقهم من جديد نحو المنطقة الواعية الرافضة متجهين بالأساس نحو سهول إسگ الواقعة غرب جبل إگالفن حيث اقبر المجاهدون عتادهم الثقيل الضخم الذي لم يستطع جيش الحق والعدالة استخدامه للأسباب السالفة الذكر.

هذا، وبمجرد ما تقترب جحافيل الطغيان من المكان الذي حددته للمعركة القادمة. تجد ابطال الوطنية وجنود الإسلام الأوفياء في انتظارهم في أهبة تامة وتعبئة شاملة مدروسة من مختلف الجوانب وعبر كل الاحتمالات. وتجري المعركة مرة أخرى كما أرادها الأباة الصامدون لا كما خطط لها الأعداء الغاصبون طيلة أربعة أشهر الماضية، وتندلع ابتداء من أوائل ماي لتستمر ضارية ملتهبة الارجاء بضعة ايام بلياليها يكون النصر فيها في الأخير لقوة الارادة والعزم والايمان على جحافيل التردد والظلم والعدوان. تاركة في الميدان من جديد الآلاف من ابنائها وعملائها المتاجرين بالقيم، موليتوجهها نحو الشمال حيث ترقد جبال تيزي في وداعة حالمة وهدوء مطلق غير أن جيش الوفاء والشرف لم يمهلها بل تعقب فلولها الممزقة يحصدها حصدا مما جعل قادة جيش العدو المندحر. يتوقفون بعيدا ليخططوا لمواجهة اخرى غادرةعله ينقذ بها ما تبقى من حشوده الممزقة وفلوله المتخاذلة بعدما يستحضر فرقه الانتحارية ويأمرها بالتسرب عاجلا متنكرة داخل قيادة الحشود المطاردة (بكسر الراء) لاغتيال القواد الرئيسيين الذين يلهبون حماس

الجنود الذين يتعقبونهم بدون عياء او إمهال، مما أدى الى اغتيال قائدنا العظيم محند بن الشيخ همو الذي انقض عليه ضابط عدو. مندس بين صفوف المجاهدين بعدما قتل فرسه الجموح. كما وقع الاجهاز في نفس الوقت على البطل المغوار شربات محمد الساعد الايمن لبطلنا الشهيد المغتال بعد عزله ومحاصرته في احدى الشعاب الوعرة الموحشة. وأثناء ذلك يكون العدو قد جمع شمله ونظم صفوفه في استعجال من جديد لتنشب معركة اخرى أشد ضراوة وأعتى عنفا على امتداد الجبال المذكورة لتدوم هيالأخرى عدة أيام ينهار في آخرها جيش العدو مرة ثالثة انهيارا تاما يجعله ييأس من العودة الى الميدان بعد تمزيقه تمزيقا تاما.

لقد كان قادة العدو يهدفون من وراء اغتيال البطلين المشار اليهما بعث روح الشلل في صفوف جيش المجاهدين الأحرار بعدما يفقدون قادتهم المخططين ورؤساءهم الموجهين لكنهم فوجئوا وصعقوا لما وجدوا فيمن تبقى منهم العزيمة التي لا تفل.. والاصرار الذي لا يخبو. والايمان الذي لا يحد. فلم يسعهم الا أن يواصلوا القرار من جديد في تضعضع مدمر، ويأس مبيد، مولين وجوههم الكئيبة نحو قاعدتهم داخل المدينة الأسيرة تزنيت، حيث يركن قادة العدو ورفقاؤه المتخاذلون، للتفكير في مسلسل الانهزامات المتوالية والخسائر الفادحة التي تكبدوها خصوصا خلال المعركتين الأخيرتين وأخيرا يقتنعون جميعا بعدم جدوى تحركاتهم تجاه قلعة الصمود والايمان والاكتفاء بمحاصرتها حصارا شاملا مع تطويقها من كل الجهات برا وبحرا تطويقا محكما. ريثما تتغير الظروف والملابسات والمعطيات مع العمل المدروس بجدية ومثابرة على بث الروح القبلية المقيتة. سعيا وراء ضرب الاتحاد القوي المتين من الداخل وزعزعة التماسك القوي من الخلف.



المجاهد كريم ابراهيم بن محمد الخلفاوي : يعد من الرواد الأولين الذين قادوا المعارك ضد العدو الدخيل خلال سنتي 1916 ـ 1934 ولقد أمتد به العمر حتى عاش الأحداث السياسية التي عرفتها المنطقة خلال سنة 1947 بالاضافة الى الأخرى التي عرفتها الساحة خلال سنوات 1954 ـ 1960.

الحلقة الرابعة

مجلس المنطقة يقرر الإكتفاء الذاتي

اداريا واقتصاديا وقضائيا وأمنيا

بعد افشال مخططات العدو التي كان يرمي من ورائها القضاء على المناعة والبطولة والوطنية الصادقة التي يتوفر عليها أبطال منطقة الصمود والتحدي للوصول الى احتلال المنطقة لإخضاعها هي الأخرى لطغيانه وكبريائه. يرجع القائد الأعلى لجيش العدو في الجنوب الجنرال لاموط منكسرا منهارا يجر ذيول الخيبة والضياع، هو وفلوله الممزقة بعد الهزائم المتوالية التي لحقت بجيشه في المعارك السالفة، مما جعله يقرر عدم محاولة غزو المنطقة الصامدة الى حين. والاكتفاء فقط. بالتجسس وبث روح التفرقة والتخاذل بواسطة عملائه المجاورين للمنطقة، أما أبطالنا المجاهدون فرغم استشهاد البطلين العظيمين محند وشربات اللذين كانا من أهم العناصر القيادية ذات الحماس المتقد، فان حزنهم لم يطل عليهما كثيرا. بل سرعان ما خف واضمحل أمام نشوة النصر العارمة التي جاءت بفضل استماتة وتفاني البطلين الشهيدين مما دفعهم أكثر الى الإصرار والصمود في وجه العدو مهما كانت التضحيات مع التعاهد الجديد على مواصلة الكفاح المستميت الى النفس الأخير، وفاء لأرواح الشهداء . واستجابة لارادة جماهير المنطقة الثائرة.

هذا، وبمجرد رجوع جيش الايمان والأمل والوفاء الى داخل المنطقة المحصنة بالتعبئة واليقظة والحذر. يتقدم قادتهم بطلب عقد اجتماع عام يحضره في المقدمة ممثلو قبائل المواجهة الأمامية. وقبل ان تؤلف لجنة

تحضيرية لذلك، يكون قادة الجيش قد وضعوا عدة فرق من جيشهم الشعبي المتطوع عبر مراكز المراقبة المطلة على مواقع العدو الأمامية لرصد تحركاته المشبوهة مع تنبيه سائر الفرق الأخرى للاستعداد التام لمواجهة مختلف التوقعات المنتظرة من عدو غادر حاقد. وعقب ذلك تجرى الاتصالات المباشرة بين قواد القبائل التى جاءت بحكم مواقعها الجغرافية متاخمة للمناطق المحتلة لتحديد موعد الاجتماع المرتقب وللتمهيد اللازم للخروج بالقرارات الحاسمة التي تتطلبها المرحلة الخطيرة، بالاضافة الى البث فيما يجب اتخاذه من أعمال ومنجزات في المستقبل المليء بالمفاجآت المحتملة. بالاضافة الى متطلبات الجماهير وحاجياتها الضرورية على سائر المستويات. ونظرا لخطورة القرارات المزمع على الخروج بها فقد أصبح من اللازم الأكيد ان يحضر الاجتماع المنتظر ذوو الرأي والمشورة الى جانب الممثلين الشرعيين للقبائل، قصد الاستفادة من معارفهم الايجابية وتجاريبهم البناءة. وهكذا يكون الذين سيحضرون الاجتماع جاؤوا عن طريق الاختيار الحر، الصادر عن ذوي الضمائر الحية والوعي الكامل بالمسؤوليات الجسيمة. بالاضافة الى المستشارين الذين قد اثبتت التجارب المتوالية كفاءتهم ومقدرتهم ونضجهم واخلاصهم، وحينما ينعقد الاجتماع يكون الجميع شاعرا بواجباته كلها اتجاه الظروف التي تجتازها المنطقة. كما يكون الحضور مكثفا. فقدكان هناك الممثلون لقبائل المواجهة في المقدمة صحبة من أتوا للاستشارة وابداء الرأي، وفي الموعد المحدد ينعقد الاجتماع المسؤول تحت الرئاسة الفعلية للقيادة العسكرية - مراعاة لتقاليد المنطقة إبان الحروب - مضافة اليها مجموعة من العلماء والفقهاء الثوريين يتصدرهم الفقيه الداهية الحسين أوسعيد . وبما انه كان من اللائق ان تكون هناك ارضية للعمل المقبل عليه، فقد كان القادة العسكريون قد تدارسوا الأمر فيمابينهم صحبة طائفة من المستشارين ووضعوا مقترحا في الموضوع يتضمن في المقدمة النقطتين التاليتين :

1) الاجراءات اللازمة للمحافظة على سلامة المنطقة وأمنها.

2) الوسائل الضرورية الضامنة للاستقرار والسير الطبيعي للحياة العامة هذا، وبعد عرض جدول العمل المقترح من لدن الفقيه الداهية المذكور. يأتي

التجاوب متقاربا، وبعد مناقشة جزئيةعابرة يقع الاجماع عليه. واثر ذلك يقع الشروع في العمل. وقبل ان تطرح النقطة الأولى للدراسة والشرحوالنقاش يتقدم فقيهنا بعرض موجز يتعرض فيه للظروف بمنتهى الحرية والجدية والصدق والاخلاص. ثم يقدم الموضوع الأول بعد شرح خلفياته وأهدافه، للنقاش والاغناء وبعد الجدل المنطقي المسؤول ، والمناقشة الهادفة البناءة. يأتي الاجماع على القرار التالي :

ان المحافظة على سلامة المنطقة وأمنها مرهونة قبل كل شيء بالتجنيد العام والجادمن أجل الاكتفاء الذاتي الناتج عن الدراسات الموضوعية المبنية على الواقع الملموس والمعطيات الماثلة والفعالة من أجل تنمية منتوجات المنطقة ومدخراتها الطبيعية وخيراتها الظاهرية والباطنية وعطاءاتها المتنوعة بحرا وبرا قصد استثمارها والمحافظة عليها بجدية وأمانة لصالح أبناء المنطقة جميعهم،لأن بالاكتفاء الذاتي وعدم الاحتياج لاي كان من خارج المنطقة مع فرض التقشف على الجميع تصان السلامة ويسود الأمن، أما الاحتياج إلى الآخرين المحيطين بمنطقتنا المناضلة، واغلبيتهم أصبحوا تحت حكم العدو الدخيل وفيهم من مشى في ركابه عن طواعية واختيار فسنحدث بذلك لا محالة منفذا خطيرا يتسرب منه الدس والمكر، ويسرى منه الخطر على سلامتنا وأمتنا عن طريق بث روح القبلية واليأس التي لا يفتأ العدو يجند لها عملاءه وأذنابه . وعليه. فان الاكتفاء الذاتي المنشود عن طريق الاجراءات المشار إليها أصبح أمرا محتمًا .

هذا وبعد الاتفاق على الوسائل الضرورية لتنفيذ القرار المتخذ تؤلف لجنة مختصة لتحقيقه ثم ينتقلون إلى النقطة الثانية المتعلقة بالاجراءات الواجب توفيرها لاستمرارية الاستقرار والسير الطبيعي للحياة العامة. وقبل طرحها للنقاش والاغناء منجديد يتقدم الداهية مرة أخرى بعرض مختصر كمقدمة وتوجيه في نفس الوقت قائلا، ان الاستقرار مرهون أساسا بالعدالة الاجتماعية والمحافظة على الحريات العامة في اطار ديمقراطية نزيهة نابعة من تقاليدنا الأصيلة الموروثة ومن عوائدنا السليمة الهادفة فاذا ما توفر ذلك وتجلى الانصاف والعدل من ممارسات المسؤولين كافة لشؤونهمتجاه السكان عموما . وظهر الجد في تعاملهم وتصرفاتهم بصفة

خاصة مع الضعاف والفقراء والعجزة ثم تقيدوا في كل ما يأتون وما يدعون بآراء وتوجيهات ممثلي قبائلنا المومنة المتشبثة بالمثل العليا والقيم المثلى. أقول اذا ما تحلى المسؤولون بذلك ضمنوا الاستقرار التام والسير العادي لأمورنا كلها خاصة كانت أو عامة. هذا ولم يكد الفقيه ينهي حديثة الجاد الصارم حتى يعلو الهتاف والتكبير عبر الساحة بأجمعها ويقف الجميع تحية لعرضه وتعقيبه ويكون في ذلك الموافقة بالاجماع ثم تؤلف لجنةاخرى للانكباب على دراسة الموضوع بدقة وتفصيل مع وضع الترتيبات الواجب اتخاذها لتنفيذ القرار المذكور،وفي الأخير يعتكفون على دراسة نقطة اخرى اقترحت مؤخرا تتعلق بوضع التنظيمات المحكمة لضمان السير الطبيعي للحياة العامة الكفيلة بانجازها في أحسن الظروف بعيدا عن العراقيل المصطنعة والتعقيدات المفتعلة ، وقبل ان ينفض الجمع الهام التاريخي تكون قد تكونت عدة لجان دائمة للسهر على مراقبة التنفيذ عبر مختلف المجالات الاقتصادية والاجتماعية والقضائية والشرعية وغيرها . هذا وقبل ان أختم هذه الحلقة أشير بأن القيادة العسكرية المكونة من الشخصيات الحاضرة كانت كما يلي :

فعن قبيلة أيت يخلف، الشيخ مبارك بن القائد أحمد كقائد عام وإلى جانبه الحسين بربوس

وعن قبيلة أيت عبلا. الشيخ علي الخزار كقائد عام وبجانبه كل من عبد الله باكا والشيخ بابا كمساعدين له.

وعن قبيلة آيت اعزة، الشيخ بلعيد بن عبلا كقائد عاموابراهيم الحاج كمساعد له.

وعن قبيلة أيت النص، الشيخ بلعيد بن عبلا كقائد عام والفقيه الداهية الحسين أوسعيد كمساعد له.

وعن قبيلة أيت الخمس الشيخ سعيد كقائد عام وابراهيم على الركني كمساعد له.

وعن قبيلة اصبويا، الشيخ أحماد اصبايو كقائد عام والشيخ بوشامة كمساعد له.

هذا وقد تعهدت القيادة العسكرية بالاضافة إلى مهامها القيادية بتفقد كل الأحوال مع مراقبة كل اللجن المكونة. المواقف والمنجزات التي بها استطاعت المنطقة أن تحافظ على كيانها وحريتها وسلامتها وأمنها إلى حدود سنة 1934 .

الحلقة الخامسة

بعد المقاومة الضارية الطويلة...

المنطقة تهادن لعدة أسباب قاهرة

طيلة المدة المذكورة الآخذة ما بين 1916 ـ 1933 كان العدو الدخيل في الشمال قد اقتصر على إقامة عدة مراكز للتجسس عبر القبائل المحتلة المجاورة للمنطقة الثائرة مثل أولاد جرار، «أيت أبراييم» ، من أجل تتبع تطوراتها الداخلية، متخذا من هذه وتلك منطلقات سرية لنشاط عملائه المتلصصين الذين باعوا أنفسهم عن طواعية واختيار للاستعمار الغاشم، وأصبحوا يعملون على ترسيخ اقدامه المدنسة ويسعون بكل ما يملكون على توسيع نفوذه الاجرامي. مقابل امتيازات تافهة وسلطة سطحية هامشية، تنحصر في ابتزاز الضعفاء والتحكم في رقاب الفقراء وتسخيرهم جميعا تسخيرا مطلقا لمصالحهم الدنيئة اللئيمة. وحينما نبحث عن هوية هؤلاء العملاء المأجورين، نجدهم كفصيلتهم في كل زمان ومكان، يعبدون السلطة والجاه ويركعون للظلم والطغيان ويؤلهون القوة والبطش. ويتفانون في سبيل الشهوات الاثيمة الفاجرة. وحتى نأتي بالمثال المحسوس المجسم الملموس نقدم النموذجين التاليين :

1) العميل السابق موسى العوينة الذي تكلمنا عليه في الحلقتين الأولى والثانية وتعرضنا فيهما للدور المخاتل الذي قام به بكل ترحاب لصالح الغاصب المحتل.

2) العميل عياد الجراري الذي خان قبيلته ودينه مقابل وظيفة قائد التى كان دورها الأساسي ينحصر حينذاك في اغتيال الشرفاء الأوفياء ولا

يتعدى التآمر على المخلصين الأبرياء. بالاضافة الى السير وراء الدخلاء بارادة مشلولة. وخضوع مطلق أعمى وأبكم. . لقد كانت مهمات هذاالنوع من البشر منحصرة في الأعمال الإجرامية التي يعجز عنها العدو مع التقاط الأخبار والتعرف عن كثب ـ بمختلف الوسائل والأساليب مهما كانت خستها ـ على كل ما يجري عبر ساحة المنطقة المتشبثة بتقاليدها الأصيلة وعوائدها الموروثة الايجابية. أقول، من أجل الاطلاع بوجه خاص فيما يتعلق بشؤونها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والعسكرية حتى يكون العدو الدخيل محيطا بمشاكلها المزمنة ليعرف كيف يغزوها في الوقت المناسب من غير ما خسارة فادحةغير أن حذر ابناءالمنطقة المجاهدة ويقظتهم الواعية المستمرة. كانت دائما، تحول دون ما يطمح اليه العدو وعملاؤه. رغم ان المنطقة المؤمنة كانت تعيش منذ سنة 1930 أزمة اقتصادية خانقة من جراء الجفاف العام الذي اصابها منذ السنة المذكورة الى اواخر سنة 1933. في هذا الظرف الحاسم الخطير، كان العدو الذي اتخذ من تزنيت المحتلة قاعدته الأمامية، يفكر ويخطط على ضوء الأزمة الطبيعية التي سيتخذ منها حليفه القوي الذي لا يقهر. للزحف مرة أخرى على المنطقة المنيعة بعد ما تقوى واسترجع انفاسه بعد الحروب الضارية السالفة. هذا ونظرا للازمة الخانقة المذكورة كان المجاهدون يعملون ـ بعدما علموا بتحركات العدو نحوهم ـ على اخفاء فداحة ازمتهم الاقتصادية عن العدو. حتى لا يستغلها على قدر حدتها الخطيرة ضدهم مما جعلهم يتزودون بالجراد الذي غزا منطقتهم اوائل سنة 1934 «من حسن حظهم» ليعيشوا به مقابل المواد الغذائية المفقودة بسبب الجفاف العام الذي امتد طيلة السنوات الأربعةالماضية مع الحصار المضروب عليها من كل الجهات وحتى لا يطلع العدو واذنابه على حالتهم المزرية هذه. كانوا يتجندون ليلا لجمع الجراد حينما تتراكم اسرابه بفضل تساقط الندى وبرودة الطقس بالاضافة الى الانحدار الذي يعرفه السحاب خلال فصل الربيع بعيدا عن أعين الرقباء والشبوهين المتسترين. نعم في هذه الظروف القاسية المتحالفة ضد المنطقة المعزولة الجافة المطوقة. يكون الجنرال كاترو القائد الأعلى الجديد لجيش العدو في الجنوب. قد وضع تخطيطاته وأتم استعداداته وهيأ فرقه المزودة بأحدث الأسلحة وافتكها المدعمة بالعديد من

الدبابات والطائرات الحربية المتطورة لغزو القبائل التي لم تضعف. ولم تهادن أو تسالم. طيلة ربع قرن رغم احتلال جل المناطق الأخرى التي ترتبط بها ارتباطا تاريخيا متعدد الأوجه والأواصر. وقبل أن تزحف جحافيل العدو نحو القلعة الصامدة تقرر قيادته العسكرية العمل على فتح واجهتين لغزوها. واحدة شمالية في تيزي عن طريف اولاد جرار والثانية شرقية بوادي نون عبر قبيلة الاخصاص. وفعلا ترسل عدة فرق الى كل من الموقعين المذكورين، هذا، وقبل ان تصل الفرق المتجهة عبر اولاد جرار لهدفها ببضع ساعات، يكون المجاهدون الصامدون في انتظارها بين الشعاب والوهاد، وبمجرد اقترابها من المكان المحدد تنشب معركة ضارية فوق الجبال المذكورة فيما بين الطرفين، لتستمر أياما متواصلة الليل بالنهار. لتنتهي مرة أخرى بالنصر لجيش العدالة بعد استشهاد عدة مآت منه في غبطة طاغية واصرار عنيد. مما جعل الجنرال الجديد يقرر سحب فياليقه الممزقة الى الوراء. نحو مركز سوق ثلاثاء الاخصاص، ليراجع مواقفه ويحافظ على ما تبقى من جيشه المنهار، وأخيرا يقرر استدعاء القادة المسؤولين عن المنطقة الباسلة، وفعلا يحضر القائد احماد امبايو والشيخ الحسين بن يوسف والفقيه الداهية الحسين اوسعيد، والشيخ عيسى بن عثمان واثناء الاجتماع يصرحون للجنرال المسؤول بأنهم لن يقبلوا أبدا بالاحتلال مهما كان الثمن، وحينما يدعي بأن تحركاته تأتي في اطار المعاهدة المبرمة بين ملك البلاد السالف وبين حكومته في 30 مارس سنة 1912، يؤكدون له مرة أخرى بأنهم لا يعترفون بمشروعيتها نظرا للظروف التي أملتها والملابسات التي احاطت بها. والأساليب اللاشرعية التي فرضتها. وازاء تصلبهم هذا لم يجد الجنرال مفرا من الاعتراف بوجهة نظرهم. وقبل انفضاض الجمع. يقع الاتفاق على عدم إرغام الفارين من هذا الجانب أو ذاك. على الرجوع الى المنطقة التي فروا منها بسبب ما. وأثناء ذلك تصلهم اخبار تشير بأن عدة بواخر حربية اسبانية تقترب من شاطيء افني مما جعل القادة المفاوضون ينهون الاجتماع بسرعة ليجتمعوا فيما بينهم لمواجهة الاحتمالات المتوقعة من لدن العدو المتربص الآخر. وفي الحين يقررون ارسال فرقة من جيشهم الباسل الى الشطيء المذكور للاستطلاع واتخاذ ما تتطلبة الحالة المستجدة وبمجرد وصول الفرقة المذكورة وعلى

رأسها بعض القادة يجدون البواخر الحربية لازالت ترابط على الشاطيء الهادئ الرحب. وبعد حين يرسل الكولونيل كباس قائد المدرعات المتحدية مجموعة من مستشاريه على ظهر قارب صغير تحمل ساريته راية بيضاء تشير بالأمان والمسالمة. وفعلا ينتظر القادة المتربصون وصول القارب المسالم. وحينما يطأ راكبوه تراب المنطقة المطهر يطلبون باسم قائدهم مجموعة من قادتهم للمحاورة معه. وبعد اجراء مشاورة فيما بين هؤلاء يتفقون على الذهاب اليه لمعرفة مقاصده عن قرب، وفي الحين يمتطون القارب المتمايل ليصل بهم الى الباخرة الحربية التي يوجد فيها الكولونيل المذكور وقبل مفارقة سلمها يكون قائد السفينة على بابها ليرحب بالقادمين بحرارة مصطنعة ، واثر ذلك يبتدئ الكولونيل الحديث بالاشارة الى انه يحاول النزول بشاطئ افني في اطار مشروع ـ رفض سكان المنطقة الاعتراف به عدة مرات ـ استنادا الى اتفاق سابق مبرم بين حكومته وملكهم السابق محمد بن عبد الرحمان،جري في متم العقد السادس من القرن الماضي. ثم يختم كلامه بأنه لايضمر عداء ولا شرا. وانما أتى لاستطلاع رأيهم في الموضوع من أجل النزول في المكان الذي تحدده الاتفاقية المشار اليها.ولم يكد يسكت وهو يبتسم ابتسامة مصطنعة. حتى يأتي جواب القادة المجاهدين ملخصا فيما يلي : ان الأمر لا يتعدى موقفا انسانيا محضا اتخذه الملك المذكور فيفترة عابرة من تلك الفترات التى تعتري الانسان فيها رعشة من العواطف الجياشة التي يغيب فيها المنطق الواعي، فيبث في أمر هام، عبر لحظة خاطفة لعدة أسباب مبهمة. ومع هذا وذاك. فالأمر لا يتعدى موقعا محددا يدعى «سانتا كروز» سمح به عن طواعية لاستراحة صياديكم ابان هيجان البحر واشتداد العواطف. غير ان مجيئكم هذا المعزز بالمعدات الحربية يجعل الأمر المسموح به مرفوضا والوعد المعطى باطلا لا يلزم الملك ولا أبناء المنطقة الذين لم يعلموا بما جرى الا بعد مرور عدة سنوات. هذا وأمام هذا الشرح المنطقي الذي جاء في غيبة تامة عن الادلاء بأية وثيقة تثبت دعوى الوافدين يطلب القائد الاسباني المذكور من القواد المجتمعين حوله. مهلة للاتصال بحكومته في الموضوع. وفعلا لم يمض 25 يوما حتى يصل الجواب ويستدعي القائد الاسباني القادة المفاوضين

ليطلعهم باقتناع حكومته برأيهم في الموضوع وبالتحليل الذي اعقبه وليزيد في اطمئنانهم وتضليلهم من جهة خرى اعلن بأنه يعتبر منطقتهم حرة تتمتع بالسيادة المطلقة وأنه لا يطلب أكثر مما يسمحون به، ثم يتظاهر بأنه مستعد بأن يتعهد بذلك باسم حكومته كتابة. وفعلا تعقد بينهم وبينه اتفاقية تتضمن ما صرح به. وأمام هذا التعهد الصريح يوافقون على احتلال الموقع «سانتا كروز» غير أنه لم يمض غير قليل حتى يتعرف العدو الجديد عن طريق عملائه على الحالة المزرية التي تتخبط فيها المنطقة اقتصاديا واجتماعيا وعسكريا ونفسيا مما جعل اليأس يتسرب الى نفوس بعض المترفين تحت وطأة الضغوط المتعددة الداخلية والخارجية. نعم، كانت هناك جيوش الفرنسيين مرابطة على الحدود الشمالية والشرقية ثم هناك الجفاف الذي انهك المنطقة المحاصرة من كل الجهات تقريبا مما جعل سكانها يعيشون طيلة السنوات الثلاث على الجراد وحده بالاضافة الى انعدام أية معونة أو دعم من خارجها نظرا للتطويف العسكري من الشمال والشرق والطبيعي من الجنوب والغرب بغض الطرف على المناورة الجديدةالتي اصبح يمارسها الاسبان لاحتلال المنطقة بمختلف التضليلات المتنوعة الأهداف. أقول في هذه الظروف الخانقة العاتية، عبر المشاكل المعقدة المتراكمة. كان نزول الاسبان المناوئون هذا. وبما ان العداوة كانت معمقة أكثر بين المجاهدين والفرنسيين طيلة ربع قرن تساهلواالكثر مع الاسبان الذين كانوا يتظاهرون بدورهم في مختلف المناسبات بالتعاطف والتسامح مبرهنين بذلك بايواء البطل القائد الناجم الاخصاصي العدو الأكبر للقوات الفرنسية التي عانت منه الكثير طيلة عشرين سنة عبر قبائل الجنوب. العوامل المتكاثفة والمتلاحقة التى أدت في الأخير الى احتلال أهم مراكز المنطقة في الشهور التالية بمساعدة عملاءمشهورين يمثلون الاقطاع بمظاهره الشرسة في مرحلة عانى منها جميع السكان اقتصاديا وعسكريا وطبيعيا وإثر ذلك تفقد منطقتنا المجاهدة حريتها تدريجيا. وعندما تشعر بالخطر المبيد يهددها تعلن في مختلف المناسبات بأنها جزء من المغرب لا يتجزأ وان رايتها هي راية المغرب وتضيف بأنها لا ترفع غيرها.



الابطال الباعمرانيون الذين وقعوا الاتفاقية المحلية خلال سنة 1934 بقرية أمزدوغ بسيدي افني ويبدو فيها القائد احمد بن البشير الصبوي الشيخ بلعيد بن الطيب الصبوي . الشيخ مبارك بوشامة الصبوي، الشيخ عبد الكريم الخلفي، الشيخ الحسين الغراوي، الشيخ بارا العبدلاوي بالاضافةالى ممثلي السلطة الاسبانية وعلى رأسهم الكولونيل الاسباني.

الحلقة السادسة

مقاومة عملية التجنيس داخل المنطقة وخارجها

بعد الاتفاقية الاستثنائية المبرمة بين الطرفين يصبح العدو مقتصرا على تسخير كل ما يتوفر عليه من امكانيات للتعرف على مصادر القوة وعناصر المناعة التى يتحصن بها أبناء المنطقة الحذرة بالاضافة الى الاطلاع على نقاط الضعف التي يمكن ان يتسرب عن طريقها للاستيلاء على مجموع المنطقة التى كانت تعيش ازمة خانقة من جراء سنوات الجفاف الثلاث ، بغض الطرف عن ظروف الحرب الطويلة مع الحصار المضروب عليها من كل الجهات. هذا ولم تكد تمضي سنتان عن الاتفاقية المذكورة حتى يعلن الجنرال فرانكو قائد المنطقة الشمالية التابعة للسلطة الاسبانية تمرده ضد الحكومة المركزية بمدريد بعدما مهد لضمان تأييد مسؤولي هذه المنطقة والتي في الجنوب خاصة منهم العسكريون. وحتى تتحقق أحلامه في الاستيلاء على الحكم داخل اسبانيا وخارجها طالب بتجنيد كل القادرين على حمل السلاح من أبناء المنطقتين المذكورتين اللتين اصبحتا تحت نفوذه المباشر بتواطؤ من حكامها المباشرين،وحينما يعرض امر التجنيد على رؤساء منطقتنا الجنوبية يطلبون مهلة للبث في الموضوع وفعلا يجتمعون لدراسة العرض المطروح على ضوء الحالة المزرية التي تتخبط فيها المنطقة الجافة المحاصرة، وبعد المناقشة الموضوعية، يقررون الموافقة على الطلب المعروض لسببين هامين :

1) التخفيف من حدة البطالة العامة الضاربة عبر القبائل بأجمعها نتيجةالأزمة المشار اليها.

2) وهو الأساسي بالدرجة الأولى، يستهدف تدريب شباب المنطقة على أساليب الحرب الحديثة مع التعرف على الأسلحة المتطورة والعمل بها في ميدان القتال ، استعدادا للمعارك التي لابد من خوضها لاسترداد السيادة المغتصبة بمشاركة هؤلاء المجندين. هذا، وعندما تنتهي الحرب الأهلية الاسبانية التي امتدت طيلة ثلاث سنوات كاملة متصلة (1936 ـ 1939) بانتصار الجنرال . ويرجع الكثير من أبناء المنطقة المجندين الى الثكنات داخل منطقتهم مشتاقين الى ارضهم المخضبة، بدم الشرف. يعتكف العدو على دراسة الطرق التي تؤدي الى القضاء علىشخصية سكان المنطقة بمحو مظاهرها بطريقة محكمة بعدما كان خلال الفترة الآخذة ما بين 1936 ـ 1946 وبالاخص عبر مدة انشغاله بالحرب الأهلية المذكورة يعامل السكان بمنتهى التسامح والتغاضي. متظاهرا بعدم الرغبة في الاستيلاء على كل الأراضي أو العمل على تسخير أبنائها لمصالحه الخاصة. لكنه حينما حلت سنة 1947 حيث تكون اسبانيا في ظل الحكم الديكتاتوري قد استرجعت بعض انفاسها واستولى النظام الجديد على جميع الأراضي الاسبانية بعد مجازر وحشية لا مجال للتعرض اليها في هذا المقام. أقول عقب ذلك، يشرع النظام الجديد في التفكير جديا من أجل الحاق منطقتنا بأجمعها أرضا وبشرا بوطنه على ضوء المعلومات المحصل عليها سابقا المتعلقة أساسا بمعرفة مكامن المناعة وعناصر الضعف التى تعيشها المنطقة خلال السنة المذكورة بصفة خاصة، مما جعله يشرع في التخطيط من أجل تحقيق مطامحه العدوانية تحت غطاء التظاهر بمبررات كاذبة تدعى العمل على تحقيق المساواة بين ابنائه وأبناء المنطقة على حد سواء. وبعد التمهيد لمخطط عدواني مكشوف يعلن قرار التجنيس المشهور الذي لم تكد اصداؤه تصل الى سكان المنطقة الواعين حتى هبوا جميعا ليقفوا وقفة التحدي والاستنفار، لاحباط العملية الاجرامية الخطيرة، منددين بعنف مهددين بحمل السلاح من جديد مهما كانت النتائج وخيمة. ذلك لانهم يرون في القرار الجائر معنى الانفصال النهائي عن الأمة العربية والاسلامية التي ينتمون اليها بالاضافة الى اقتطاع

جزء هام من وطنهم الكبير والحاقه بأرض مفصولة عنهم بالأراضي والبحار غريبة عن سكانها دينا ولغة وتاريخا ونسبا. نعم لقد هبوا جميعا متحدين متساندين يدعمون تحليلهم المنطقي ومواقفهم الشجاعة هذه بالاحتجاج والرفض والاستنكار، معربين بكل قواهم عن تشبثهم بمغربيتهم تحت السيادة المغربية المشروعة بمختلف الأساليب والوسائل مهما كانت التضحيات.

مما دفع باولئك المجندين الى الانضمام الى الجماهير الغاضبة الثائرة والوقوف بجانبها ضد العدو الدخيل، التطورات الخطيرة التي اربكت العدو وأذهلته ودفعته بالتالي الى شن حملات مسعورة ضد المناضلين المحنكين المتزعمين لتحركات الرفض والتحدي مما ادى الى سقوط العديد من الضحايا واعتقال العديد من القادة الرواد ونفي العشرات منهم الى جزر الخالدات.ومناطق متعددة من صحرائنا المغربية التي كانت هي الأخرى تعيش تحت سلطته المفروضة حيث يموت البعض ويقضى الآخر بضعة سنين من السجن التعسفي الغاشم هذا، ورغم الحصار المضروب على المنطقة المكافحة تتسرب طائفة من اولئك المجاهدين الأوفياء نحو المنطقة الوسطى وحينما نتعرف عنهم عن قرب نجد من بينهم ابطالا قادوا معارك ضارية ضد الدخلاء منذ الاعلان عن الحماية الى سنة 1934 مثل القائد احماد الهصباوي الشيخ الحسين اليعزاوي . المرحوم الحاج محمد بن أحمد هراوش . الشيخ بارا العسري، وحينما يصلون الى مدينة المقاومة والفداء الدار البيضاء يجدون لدى الأخوين المقاومين كريم محمد بن ابراهيم. ومحند اندهمو العبدلاوي كامل الدعم المادي والمعنوي وأثناء مقامهم لدى الأخوين المذكورين يعملون من أجل الاتصال بجلالة الملك الراحل مستعرضين معه حالة المنطقة ووضعيتها بكل تدقيق فلم يكن من العاهل المذكور - الذي كان يتهيأ لزيارة طنجة - الا أن يدعوهم الى التريث ريثما تسمح له الظروف بمقاومة عدوين قويين متحالفين. وخلال مقامهم الذي امتد الى سنة 1953 كانوا يجرون اتصالات هامة مع مختلف العناصر التي كانت قد بدأت تفكر في التحضير للعمل الجاد الكفيل بالخلاص من ربقة الاستعمار وانهاء وجوده بشكليه الفرنسي والاسباني مما جعلهم يخططون جميعا قبل كل

شيء لنشر الأفكار الثورية الداعية لمقاومة الدخلاء عن طريق الفكاح المسلح.

نعم كان التخطيط والتحضير يجري بالبيضاء من لدن نخبة مناضلة ملتزمة تأثرت كثيرا بالثورة الحنصالية التي اندلعت آنذاك مشتعلة عبر جبال الأطلس المتوسط منتقلة ما بين القصيبة وسد ما بين الوديان. أقول كان تخطيط هؤلاء يجري مع أولئك الثوار الذين غادروا منطقتهم من أجل الاعراب عن الرفض الباث لما يسعى اليه الدخلاء من مسخ وتزوير، وفعلا يقع الاتفاق ويتعهد كل منهم بالتفكير الجدي في الحصول على السلاح الضروري للعمل المحضر مما جعل اللاجئين المغتربين يتكفلون بايجاد السلاح اللازم عن طريق اولئك المجاهدين الأوائل الذين حملوا السلاح منذ تواجد الدخلاء على ارض الوطن ثم حافظوا عليه عقب النكسات المتوالية في انتظار الظروف المواتية.

الحلقة السابعة

بعد انفجار الأزمة المغربية

تصبح المنطقة معقلا لرجال المقاومة السرية

قبل الشروع في هذه المرحلة، أرى منالضروري أن أمهد لها بمقدمة موجزة. تنكشف بها خلفيات المرحلة التي سنتطرق اليها.

أثناء تواجد ابطالنا اللاجئين الذين اتخذوا مدينةالدار البيضاء مقرا لهم، كانت الأزمة المغربية التي خطط لها الجنرال جوان منذ تعيينه مقيما عاما بالمغرب بماي سنة 1947 قد احتدت خلال سنة 1953 مما ادى الى انفجارها في 20 غشت عبر المراحل والتخطيطات الموضوعية لها كما هو معروف. اثرها مباشرة وقع تحول متميز في السياسة الاسبانية الداخلية تجاه الحركة الوطنية عموما وضد السياسة الفرنسية بالمغرب بصفة خاصة. تجلى ذلك بوضوح في مهادنة الوطنيين على اختلاف مواقعهم سواء داخل المنطقة الشمالية أو عبر قبائل آيت باعمران، فقد سمحت الادارة الاسبانية لرئيس حزب الاصلاح الاستاذ المرحوم عبد الخالق الطريس بالرجوع الى منطقته مع استئناف نشاطه الوطني في اطار مناهضة السياسة الفرنسية بالمغرب التي أدت الى الانفجار المذكور. كما أن نفس التفتح وقع على مناضلي قبائل آيت باعمران المناضلة فقد سمحت السلطة المسؤولة بها [بأمر من الدوائر العليا] للاجئين بالرجوع الى اماكنهم في أمن تام كما اطلقت وارجعت كافة المعتقلين والمنفيين سواء من كان منهم داخل سجون جزر الخالدات أو غيرها. نعم كان ذلك في اطار مناهضة السياسة الفرنسية التي انتهت بالأزمة التي دفعت بالمغاربة الى الكفاح المسلح في الأخير.

هذا، وحتى نتعرف عن اسباب التحول المفاجيء الذي طرأ على السياسة الاسبانية بصفة خاصة تجاه الحركة الوطنية عموما نكتفي بالاشارة الى الرئيسية منها.

1) السياسة المنفردة التي سلكتها الحكومة الفرنسية في المغرب وبوجه خاص فيما بين 1951 ـ 1953 في غيبة تامة وتهميش مطلق للحكومة الاسبانية، الأمر الذي جعل هذه تشعر بالمرارة وبشيء كثير من الاحتقار من الدوائر الفرنسية المسؤولة. مما دفع بها الى معاكستها سياسياً وادارياً عبر المنطقة وخارجها. وفي هذا الاتجاه. جاء بيان المفوض السامي الجنرال فالينو بالمنطقة الشمالية «الذي كان يقوم بدور المقيم العام بالرباط» الذي يقول فيه. لقد قضى الفرنسيون عما كان قائما بيننا من وحدة في السياسة بين الحكومتين بسبب التفرد بالعمل وعدم اطلاع اسبانيا عن مخططاتهم. ثم يأتي بعده تصريح صحفي لرئيس الدولة الاسبانية الجنرال فرانكو ليؤكد ما جاء في بيان المفوض جملة وتفصيلا. الى غير ذلك من التصريحات التي جاءت من رئيس الدبلوماسية الاسبانية الجنرال ارتاخو = أثناء تجوله بمنطقة الشرق الأوسط = التي تؤكد هي الأخرى المواقف المذكورة ثم تتصاعد الى التلويح بالعزم على منح المنطقة الشمالية الحكم الذاتي بالاضافة إلى عدم الاعتراف بالملك الذي وضع مكان جلالة محمد الخامس مع قطع كل العلاقات التي كانت تربط خليفة المنطقة بالملك فيما قبل 20 غشت .

2) السياسة الخارجية المتميزة مع الدول العربية التي اصبحت مطبوعة اكثر بطابع الود والتعاطف عبر علاقات اقتصادية هامة بالاضافة الى المساندة السياسية التي كانت الحكومة الاسبانية تحظى بها من مختلف الدول العربية وفي مقدمتها مصر على صعيد دول العالم التي كان بعضها ينفي عنها الشرعية مطلقا.

هذا. وبما أن الدول العربية كلها وقفت حينذاك بجانب الشعب المغربي ضد السياسة الفرنسية وادانتها بقوة وعنف.. فقد وجدتها الحكومة الاسبانية فرصة مواتية للتقرب أكثر منهاتوثيقا للعلاقات القائمة بينهما

والتي كانت هي المستفيدة منها اقتصاديا وسياسيا ودوليا نعم. في هذا الاطار والمعطيات المستجدة. رجع ابطالنا اللاجئون الى مثواهم وأطلق سراح المعتقلين عموما وكذا المنفيين مع السماح لهم جميعا بتصعيد نضالاتهم السياسية خاصة ضد مواقف الادارة الفرنسية من السيادة المغربية. وقبل أن اختم هذا التمهيد الضروري لهذه الحلقة. يجدر بي ان أشير بأن الاسبان كانوا غير مخلصين في مواقفهم المشار اليها = رغم الاستفادة الكبيرة والمتنوعة اقتصاديا وسياسيا من مختلف الدول العربية = وأنهم كانوا موقنين باستحالة رجوع الملك الشرعي الى عرشه. واحراز المغرب على استقلاله. ذلك انهم كانوا واثقين من أن الحركة الوطنية عبر انحاء المغرب سوف لا تتعدى التنديد والخطب الطنانة. وبيانات الاستنكار والادانة. وأنها غير مؤهلة لخلق الاداة الضرورية القادرة على تحقيق ما تطالب به وتتطلع اليه عن طريق وسائلها السليمة. كما كانوا جازمين بأن الحركة الوطنية بمختلف فصائلها سوف لا تتولد عنها مقاومة شعبية مسلحة تنمو حتى تستطيع ان يتكون عن طريقها جيش شعبي للتحرير الشامل بالكفاءة والقوة والمناعة التي تهزم فرنسا وترغمها على الاعتراف بسيادة المغرب واستقلاله. وعليه فموقفها بجانب الحركة الوطنية ضد فرنسا من السيادة المغربية. انما كان من أجل استمرارية الدعم الهام من دول الشرق الأوسط مع الانتقام من الادارة الفرنسية التي تجاهتها كل التجاهل في تطبيق السياسة المشار اليها. ولا أدل على ذلك من التلكؤ المكشوف والتردد المفضوح اللذين اظهرتهما الحكومة الاسبانية (بعد رجوع جلالة الملك الراحل واعتراف فرنسا باستقلال المغرب) من انعدام المبادرة السريعة بمنح الاستقلال للمناطق التى تحتلها. بقي علينا ان نعرف الدور الهام الذي قام به أبطال منطقتنا في معركة التحرير عقب رجوعهم الى قبائلهم التي استقبلتهم بالحفاوة البالغة والتقدير الموفور. أثناء ذلك تكون المقاومة الشعبية المسلحة التي ساهم لاجئونا في تكوين بعض خلاياها بالبيضاء خلال مقامهم بها قد شرعت بالقيام بمهامها عبر المدن الرئيسية ضد الوجود الفرنسي الغاشم وعقبها يتعرف العدو الدخيل عن بعض افرادها بسبب او بآخر فيلقى القبض عن بعضهم ويضطر الآخرون = الذين اصبحوا مستهدفين للاعتقال من حين لآخر

5

= الى اللجوء للمنطقتين التابعتين للادارة الاسبانية نظرا للمواقف المستجدة بعد نفي جلالة الملك محمد الخامس وحينما نمعن النظر في هؤلاء اللاجئين الذين وفدوا على المنطقة الجنوبية نجدهم اما من أبنائها أو من القبائل المجاورة لها، فقد كان من بينهم الاخوان المناضلون : كريم محمد ابن ابراهيم الباعمراني محمد بن موسى، محمد بن سعيد. محمد مروان. المرحوم بوشعيب الدكالي، الفقيه محمد بن الحسن.

وبعدهم بقليل تبدأ مجموعات أخرى تتوارد على نفس المنطقة لنفس الدوافع والأسباب المشار إليها. الى أن يصل عددهم المائة والخمسين تقريبًا. وعندها يجتمع الاخوان الستة المذكورون. من أجل تكوين لجنة منهم تتكلف بحل مشاكل اللاجئين المادية والمعنوية عن طريق تشغيلهم في المهن التي كانوا يتعاطونها من قبل للحصول على قوتهم بالكد والعمل حفاظا على كرامتهم من الخصاصة التي تضعف الهمم وتحط من قيمة الفرد ومعنويته. فكان أول عمل خططوا له هو إيجاد مقرين بتزنيت لاستقبال الوافدين على المنطقة من أجل نقلهم سريًا الى افني. تحت إشراف الفقيه محمد بن الحسن في الظروف المناسبة عبر الحراسة المشددة والمسلحة من لدن المناضلين. محمد كرتان، وكريم محمد بن عبد الله ايلوني، وحينما نتبحث عن هوية المقرين المذكورين نجدهما في ملك الأخوين المناضلين البشير الجراري وعبد الله التزنيتي. وعقب ذلك تكون لجنة أخرى للبحث على مختلف الأسلحة بصفة خاصة بتنسيق وتوجيه من المقاومين الرئيسيين المتواجدين في كل من البيضاء وتطوان وعندما تجتمع هذه اللجنة يكون جدول أعمالها يحتوي على ثلاث نقاط رئيسية :

1) البحث عن الأفراد المؤهلين للحصول على الأسلحة المطلوبة.

2) تعيين مراكز خاصة لاخفاء السلاح المحصل عليه.

3) تكوين مجموعة قادرة على ايصال السلاح المذكور الى المناطق الوسطى والشمالية من البلاد . هذا وبعد المناقشة الجادة للنقاط المذكورة يقع الاتفاق على البرنامج التالي :

ففيما يتعلق بالنقطة الأولى لم يجدوا أفضل من أولئك الذين دفعوهم الى الانخراط في الجيش الاسباني خلال سنة 1936 للاسباب المشار اليها في



المجاهد كريم محمد بن ابراهيم الباعمراني

صور أعضاء اللجنة الـتـي تكونـت بمدينة افني سنة 1954 للسهر على حل مشاكل اللاجئين الـمـادية والمعنوية بعد تهريبهم عبر مراكز معيـنة مـن المنطقة الوسطى الـى المنطقة الجنوبية «ايت باعمران».



المجاهد الشهيد بوشعيب الدكالي الحريري



المجاهد ايت يدر محمد بن سعيد



المجاهد الريفي محمد بن موسى



المجاهد عميد الفقيه محمد بن الحسين



المجاهد محمد مروان

الحلقة الماضية وفعلا يتفقون على تعيين عدة افراد منهم نجد على رأسهم، لانجرى احميدو. على وابراهيم الخمساوي. كابو خوبي.محمد بومريس مبارك. باميضو محمد.وفيما يتعلق بالنقطة الثانية وقع الاتفاق على إحداث سبعة مراكز اثنان بتزنيت تحت مسؤولية كل من البشير الجراري. وعبد الله التزنيتي، والثالث والرابع بايت ابراييم تحت مسؤولية الغزالي محمد احلبا. والشيخ أمحمد مومو. والخامس ببورزكارن تحت مسؤولية كريم احمد بن ابراهيم والسادس بأولاد جرار تحت مسؤولية عمر بن ابراهيم الجراري. والسابع بفم الحسن تحت مسؤولية العقيد ابراهيم اصيا أما فيما يتعلق بنقل السلاح وايصاله الى الأماكن المعينة فكانت هذه المهمة مقتصرة على الأخوة المقاومين الفقيه محمد بن الحسن والمرحومين ابراهيم بن عبد الله التزنيتي وابراهيم المدعو بالسائق.

واخيرا ينفذ البرنامج على الوجه المطلوب وفي احسن الظروف فيأتي المكلفون بالحصول الاسلحة المتنوعة بأكثر مما كان منتظرا ومن داخل المراكز

والتكنات الاسبانية وتقوم المراكز المخصصة لاخفاء الاسلحة بمهماتها على الوجه الأكمل . وأخيرا يصل السلاح الى الأماكن المتفق عليها في احسن الظروف ليقوم المهيأون والمدربون بواجباتهم النضالية علىالوجه المطلوب مما ساعد علىانتشار حركة المقاومة المسلحة الشعبية عبر انحاء المغرب وايجاد جيش التحرير بالمنطقة الشمالية وغيرها لتحقيق اهداف المسيرة النضالية التي كانت تتلخص حينذاك في طرد العدو وارجاع المشروعية للبلاد وفعلا يقع الانتصار على جيوش الظلم والطغيان. ويقف العدو الفرنسي منهارا معترفا بهزيمته المنكرة أمام العالم. ثم يسرع بارجاع الملك الشرعي للبلاد ليوقف المد الثوري الجارف الذي كان يستهدف وجوده سياسيا واقتصاديا وعسكريا.

الحلقة الثامنة

في ليلة 16 نونبر 1955 تنكشف نوايا العدو الاسباني ويتنكر لمواقفه السالفة

نعم كان يوم رجوع جلالة الملك الراحل الى الوطن في 55/11/16 يوم فرح واستبشار وتفاؤل عمت اشراقته جميع ارجاء المغرب بدون استثناء وهب ابناؤه جميعا في مسيرات جماهيرية صاخبة تغنى فرحتها العارمة وتردد أهازيج انتصارها الكبير المنتظر، تهتف بشعارات التحرير والعدالة والحرية والديمقراطية الحق وتنادي بالجلاء التام للدخلاء مدنيا وعسكريا، وبالطبع يكون في المقدمة ممن تظاهر واحتفل وهتف أبناء منطقتنا المناضلة الذين رأوا في الحدث الهام معلمة من معالم التحرير للانسان والأرض، موقنين كبقية أبناء المناطق الأخرى بأن ساعة الخلاص قد قربت. ولم يبق الا أن تدق ناقوس الرحيل النهائي. لاولئك الذين طالما اشتغلوا واشتطوا ومكروا وعبثوا وكادوا ومكروا بقدر ما عملوا على تمزيق الوحدة الوطنية وتقسيم الأراضي المغربية عن طريق ضمان المصالح الخاصة بالاضافة الى خلق الحزازات ، وبث روح القبلية بين أبناء الوطن الواحد ذي التاريخ المشترك الموحد، وحتى يسبروا ما يضمره العدو الاسباني ازاء الحدث الهام الجديد تكون وفد هام من الاخوان المناضلين : كريم محمد بن ابراهيم ، السكال احمد زكرياء ، زهير احمد الذيب، شمس مبارك أعبيد، باكريم الحنفي برو محمد ، محمد بن البشير ، للاتصال بالجنرال الحاكم العام للمنطقة المتطلعة للانعتاق ليحيطوه علما بأنهم عازمون على الاحتفال بعيد العرش الذي اعتاد المغاربة قاطبة الاحتفال به يوم 18 نوفمبر من كل سنة. وانهم كمغاربة متشبثون مبغربيتهم تحت

السيادة الوطنية ، جاءوا يطلبون منه الدعم والتشجيع انسجاما مع مواقف الحكومة الاسبانية ابان نفي الملك الشرعي عبر المحنة القاسية التي عانى منها الوطن وأبناؤه الكثير من الفواجع والأهوال. هذا ، وأمام الروح المعنوية المرتفعة المتحدية التي فوجئ بها المسؤول الاسباني الكبير من لدن جميع افراد الوفد المذكورين وبعد العرض الوجيز الذي تقدموا به وأشاروا من خلاله الى الأهداف السامية التي يتطلعون اليها. ذهل المسؤول المذكور واحتار، ثم ارتج كيانه وتضعضع خوفا من العواقب التي اصبحت تنذر وجود دولته عبر المنطقة بالخطر، وأمام هول المفاجأة والجرأة وقوة المنطق لم يسع الجنرال المحتار الا أن يمتنع عن الجواب المطروح موضحا ، بأن منطقتهم على ما يرى لا علاقة لها ببقية المناطق المغربية الأخرى مستدلا بأن اهاليها لم يعترفوا قط ينظام الحماية الذي صادق عليه الملك الاسبق وأنها لم تستجب لنداء الملك المذكور. وبقيت منفردة ضد الحماية بمعزل عنه طيلة نصف قرن تقريبا وأنه من أجل ذلك لم يعين لها خليفة له كما فعل بالمنطقة الشمالية وعليه فلا أرى مبررا لاقامة الحفلات المقترحة. ثم قام ايذانا للوفد بالانصراف. فلم يكن من الوفد الا ان ينسحب مصرا على الاحتفال بالمناسبة الوطنية التي ترمز الى تطلعاتهم المشروعة مهما كانت العواقب وفعلا يشرعون في الاستعدادات اللازمة التي تتطلبها المناسبة الوطنية التي ستحل في ظرف حاسم جدا بالنسبة للتطورات السياسية اللاحقة وحتى يكون الاحتفال معبرا بعمق عن التعلق القوي بالوحدة الوطنية في ظل السيادة المغربية المستقلة المحررة عبر مختلف القبائل والمراكز. ، وحتى يكون الأمر واضحا والأهداف معروفة يقررون وضع صور الملك العائد من منفاه في صدر قاعات الاحتفال الكبرى بمدينة افني ابتداء من اليوم الذي تقرر فيه رجوع الملك المناضل (1955/11/16) وما ان حل اليوم التاريخي المذكور ويرجع الملك المنتصر في اليوم المقرر بفضل تضحيات المناضلين الأوفياء حتى ترفع الاعلام المغربية في حماس منقطع النظير معبرة عن الفرحة العارمة بقرب ساعة الخلاص من النير الاستعماري، مترقبة من المسؤولين الكبار العمل الجاد من أجل الحاقهم بقافلة التحرير. غير انهم ما كادوا يتحركون للشروع في الاحتفالات المقررة التي هيأوا لها القاعات الفسيحة والاماكن العمومية ابتداء

من صبيحة يوم الرجوع المظفر حتى تتحرك السلطة الاستعمارية الاسبانية لتلقى القبض على جميع اعضاء الوفد السالف الذكر بالاضافة الى كل من له صلة من قريب أو بعيد بالعمل على اقامة الحفلات والمهرجانات بالمناسبة المذكورة. لانها ادركت بعد فوات الأوان بأن الوفد جاء اساسا لاختبار نواياها المبيتة مع التعرف علىالاتجاه الذي ستتجه اليه السياسة الاسبانية نحو المنطقة المتوثبة بعد الحدث التاريخي المنتظر على احر من الجمر. الذي ينبئ بمختلف المؤشرات والتصريحات الصادرة من مختلف الجهات على ان الحكومة الفرنسية عازمة على الاعتراف بسيادة المغرب واستقلاله وحينما تشرع الادارة الاسبانية في الاعتقالات التعسفية للاشخاص المعروفين بمواقفهم النضالية وأفكارهم التحررية تنكشف أضاليل الدخلاء من الداخل والخارج لاسيما حينما نجد في طليعة المعتقلين الذين نقلوا فورا الى اعماق الصحراء المغربية اعضاء الوفد بأجمعهم بالاضافة الى الاخوة المجاهدين. الشيخ سعيد ـ احماد بن جامع بوجضاطي ـ الحسين بن الحسين، أومحمد، ابراهيم أوعلى، سليمان العبدلاوي، احماد اكري، محمد العروسي.

عقب هذه الاعتقالات الجائرة التي فضحت خلفيات السياسة الاسبانية التي سلكتها ازاء الحركة الوطنية خلال السنوات الماضية الأخيرة. والتي سبق أن اشرنا لدوافعها في الحلقة الماضية، اقول اثر ذاك خطط المناضلون الباعمرانيون للعمل ضد العدو المتنكر في واجهتين. واجهة سياسة محضة تدعو علانية الى الاعتراف بالانتماء الوطني. وبالتالي العمل على تطبيق كل الاجراءات التحررية التي ستشمل لا محالة كل المناطق المغربية، سواء تلك التي تحت النفوذ الفرنسي او الاسباني. والواجهة الأخرى تستعمل للضغط على العدو عن طريق العنف الثوري المسلح. وفعلا تقوم مجموعة الواجهةالأولى بعملها المشروع في واضحة النهار. أما الثانية فقد خططت للقيام بالعمل السري لتغتال غلاة الادارة الاستعمارية وعملاءهم انتقاما من تنكراتهم الدنيئة ومواقفهم المخزية. ولم يمض غير قليل حتى أصبح الجميع يسمع ويرى تساقط العديد من هؤلاء وأولئك ويشعر العدو بالخطر الذي يستهدف جميع اطر اجهزته الادارية والعسكرية، وحتى لا تتفجر الاوضاع

بشكل مهول تسرع السلطة المتنكرة باطلاق سراح كافة المعتقلين المنفيين وارجاعهم الى منطقتهم المشتعلة حماسا في ماي سنة 1956.



في 1955/11/16 رجع جلالة الملك الراحل رحمه الله منتصرا من منفاه السحيق بفضل تضحيات أبناء الكادحين الأوفياء.

«أخذت الصورة بمطار سلا اثر نزوله من الطائرة مباشرة»

الحلقة التاسعة

جاء الاستقلال ... ولم يتخط حدود المنطقة المجاهدة

وحينما يرجع المعتقلون المنفيون الى منطقتهم المتطلعة الى اوبتهم بالشوق المتفجر، يجدون أبناءها كلهم قد تحولوا الى عمالقة بالعزم والإيمان، يلتهبون حماسا واصرارا على مواصلة الكفاح بمختلف الأساليب الضرورية. وبكل الوسائل التي تتطلبها المرحلة الحاسمة من أجل الالتحاق بالوطن الأم التي كانت فرنسا قد اعترفت باستقلال المناطق التى كانت تحكمها قبل اعتقالهم الأخير. وأنها «أي فرنسا» قد وقعت على ذلك في الثاني من مارس منفس السنة وأن اسبانيا بدورها قد رضخت مكرهة تحت الضغوط المتنوعة الى الاعتراف باستقلال المنطقة الشمالية بعد ذلك بشهر تقريبا اثر تردد وتمنع بمبررات مكذوبة وتعليلات واهية. هذا ، ونظرا لغياب القادة الاضطراري أثناء عقد الاتفاقيتين المذكورتين لم يتعرفوا بتفصيل عن محتويات الاتفاقيتين ولا على المناطق التي شملها الاعتراف بالاستقلال السياسي بكل دقة. وأصبحت بحكم ذلك سيدة نفسها تتمتع بالاستقلال الـــذي ضحوا من أجله وحتى يكونوا ملمين بالموضوع الماما مفصلا يطلعون على نص الاتفاقيتين المبرمتين بكل تدبر وامعان : فلم يسعهم بعد ذلك الا ان يندهشوا حينما يتيقنون بأن منطقتهم المجاهدة لم تحظ بما حظيت به المناطق الأخرى، وان الاستقلال الذي طالما كافحوا من أجله جاء ولم يتخط عتبة منطقتهم المتعطشة الى عناقه بقوة وعنف، وبعد انقشاع ضباب الحيرة والاستغراب. يقرر القادة المناضلون عقد اجتماع خاص مع مختلف رؤساء القبائل وشيوخها وعلمائها المخلصين قصد دراسة الحالة الاستثنائية الشاذة التي اصبحوا فيها من جديد وللبث فيما يجب القيام به لتصحيح

6

وضعيتهم عن طريق المشروعية ومنطق التاريخ. وحينما يجتمعون ويتدارسون التطورات المستجدة بموضوعية وواقعية يتساءلون جميعا في استغراب واستنكار واندهاش عن مصير منطقتهم المجاهدة التي اعطت الكثير الكثير عبر سنين طويلة في ظروف قاسية مثقلة كما تكررت تساؤلاتهم الملحة عن الدوافع والأسباب والخلفيات التى أدت الى عدم ادماجهم ضمن المناطق المستقلة بالاضافة الى الصمت التام المطبق عليهم بشكل مريب.
مع أنهم الذين اعربوا اكثر من غيرهم عبر ساحات النضال عن وطنيتهم الصادقة وضحوا طويلا وفي مختلف المناسبات من آجل استرجاع السيادة المغربية للسلطة المركزية رغم أنها وقعت عقد الحماية في غيبة عنهم. وكانوا اخر من هادن العدو الدخيل بعد كفاح مسلح شاق وطويل وفي ظروف جد قاسية داخليا وخارجيا وطبيعيا، ثم بعد المهادنة المفروضة استمروا في الاعراب في غير ما مناسبة وفي احرج الظروف واخطرها عن تشبثهم القوي بمغربيتهم الأصيلة تحت السيادة المغربية المشروعة. رغم ما كانوا يوجهونه الى هذه من عتاب ولوم ومواخذة. مع رفضهم التام لكل الاغراءات التي كان يقوم بها المسؤولون الاسبان من حين لأخر بعد تغليفها بأساليب التمويه التضليلية ووسائل المغالطات الخطيرة وبعد هذا العرض والتحليل. انكبوا بجدية وموضوعية على دراسة التطورات الهامة الأخيرة، التي جرت في غيبة مطلقة، عنهم لاتخاذ الاجراءات الجريئة اللازمة التي من شأنها ان تساعد على تحقيق آمالهم لتضمن مستقبلهم في ظل التحرير الشامل الذي طالما قدموا من أجله اغلى التضحيات، مستهينين في سبيله بكل الأخطار والأهوال والملمات، وبعد المناقشة الجادة والموضوعية للأوضاع العامة على الصعيد الوطني من مختلف الجوانب والمعطيات يقع الاتفاق - قبل اتخاذ اي موقف آخر - على ارسال وفد هام الى الرباط عاصمة السلطة المركزية من أجل استفسار المسؤولين الحكوميين الرئيسيين عن التطورات التاريخية الهامة التي تجاوزتهم من غير ما مناقشة أو طرح لوضعيتهم المستثناة رغم الوعود المتكررة التي اعطيت لوفود متعددة جاءت عقب رجوع جلالة الملك الشرعي من منفاه السحيق خلال نونبر سنة 1955 التي كانت كلها تطمينات مؤكدة. بأنهم سيكونون في مقدمة من سيطبق عليهم النظام المهيأ المزمع تطبيقه

في القريب العاجل، الذي سيضمحل بموجبه النظام الجائر المفروض والمرفوض منذ اقامته عن طريق النار والحديد وأن (النظام المهيأ تطبيقه) سينص في جملة ما سينص عليه بأن المغرب الجديد ذو سيادة تامة موفورة، ويتمتع بكامل استقلاله وحريته وأن تعامله مع كل الدول سيكون على قدم المساواة ، وفعلا يصل الوفد الى الرباط ويتصل افراده المتحمسون بكل المسؤولين على مختلف المستويات مستعرضين معهم ما عليه منطقتهم من تطلع وحماس وما هم مستعدون اليه من بذل وعطاء في سبيل تطبيق ما طبق على مختلف القبائل والمناطق الآخرى التي ينتمون اليها أرضا ودينا ولغة وتاريخا ومصيرا مشتركا. وأخيرا يحملونهم جميعا عواقب التهاون والتخاذل والتغاضي مشيرين الى شراسة العدو التي ازدادت ومضايقته التي ارتفعت واحتدت. ويرجعون مرة أخرى بالوعود السابقة المؤكدة أكثر، مع تبيههم الى الانتظار في غير ما عنف ولا تحرش حتى لا يتسبب ذلك فيما عساه، يؤدي الى احداث دامية، يعرقل المساعي الجارية من أجل تحقيق ما يطمعون اليه في هدوء واطمئنان.

الحلقة العاشرة

يخططون لاستئناف الكفاح المسلح

بعد التهاون والتماطل والانتظار الطويل

... ويطول الإنتظار، ولا إشارة تدل على أدنى اهتمام من لدن المسؤولين بالمنطقة المناضلة المعزولة عن اخواتها المحررة رغم ما تتعرض له من قمع متواصل واضطهاد مستمر. مما أثار الاستغراب والإندهاش لدى الجميع وجعل بوادر الشك ترتسم متسائلة أو مستفهمة عبر الملامح والجباه، ثم تنتفض هذه البوادر لتنقلب معانيها معبرة بشكل أو بآخر عبر الاشارات والتلميحات على الاستنكار والسخط والادانة .

وأ. وأخيرا تحتد لتفصح عنها الالسنة بوضوح في غضب وتدمر. وتنتهي اللوعة الممضة أثناء الفترات التي ينفجر فيها الاستياء والتذمر إلى الحد الذي تتقوى فيها شكوكهم المتصاعدة لتقترب من الظنون السيئة المخيبة للآمال. ثم ترتفع حرارتها بدرجة اقوى لتأخذ طريقها نحو اليأس القاطع المؤكد. بعد ما توالت الوفود على العاصمة الادارية مذكرة بالوعود المعطاةبتكرار وبكرم جم في غير ما مناسبة ، معرضة في نفس الوقت في صراحة تامة بالتهاون الملموس والتقاعس المكشوف، رغم ان الادارةالاستعمارية طالما تظاهرت عقب رجوع الملك الراحل بالاستعداد التام للدخول في مفاوضة جدية في الموضوع مع المسؤولين المغاربة بدون شروط مسبقة تحت الضغوط الشعبية التي أصبحت تحركاتها تنذر بشكل أو بآخر بقرب اندلاع ثورة شعبية عارمة من جديد. وحتى يتأكدوا أكثر من موقف الحكومة المغربيةتجاه طموحاتهم

الموضوعية والمنطقية والمشروعة ليتخذوا ما يجب اتخاذه عن انفراد وبعذر لا يقبل الجدل يرسلون آخر وفد منهم لاجراءاتصالات أخرى مع المسؤولين في نفس الموضوع . وفعلا تقع الاتصالات وتتكرر على مختلف المستويات . ويرجع الوفد الهام الآخر والأخير مزودا أكثر مما مضى بالتأكيدات المؤكدة والتطمينات المتكررة. وتمر الأيام والشهور، ولا شيء في الأفق ينبئ من قريب أو بعيد بأن هناك محاولات جادة من طرف المسؤولين لطرح وضعيتهم الشاذة. وبالطبع تكون الادارة الاستعمارية الاسبانية ترقب الأحداث والتطورات. عالمة بالتفاصيل وبكل المساعي المتوالية الفاشلة مطلعة على التهاون الملموس من لدن المسؤولين المغاربة. مما ادى الى تغيير مواقفها السياسية تجاه المنطقة المناضلة جملة وتفصيلا. لتنقلب عليها في الأخير وتتنكر.حانقة. تحد من نشاطات المناضلين من جديد وتقف منهم جميعا موقف العداء السافر والمطاردة المكشوفة. فتعتقل من استطاعت القبض عليه من المحركين الرئيسيين ثم تنقلهم بعيدا خارج المنطقة لتودعهم خلف أسوار أحد سجون جزر كاناريا ويذهب من انفلت منهم من المسؤولين. خارج المنطقة المعزولة ليستقروا كلاجئين في كل من الرباط والبيضاء وأكدير وغيرها مستصرخين مستغيثين من أجل التحرك لنصرتهم والوقوف بجانبهم ضد العدو المشترك. ورغم هذا وذاك لم يجدوا غير الصمت المريب والتغافل المخجل، فلا ردود ايجابية من لدن المسؤولين الكبار، ولا اهتمام بشؤونهم المادية والمعنوية المتردية، واذاك يقتنعون جميعا بالمقولة الحكيمة الخالدة (ان ما أخذ بالقوة لا يمكن ان يسترد الا بها)

في هذه المرحلة الحاسمة الخطيرة الفاصلة الدقيقة، كانت سنة 1957 قد استهلت ثم انتصفت ولا جديد في الساحة الوطنية من لدن الدوائر المغربية العليا. واذاك يجتمع رؤساء القبائل وشيوخها وفقهاؤها المتحررون بالاضافة الى أولئك المقاومين القدماء الذين قاوموا التدخل الأجنبي سواء منه الفرنسي أو الاسباني منذ اوائل هذا القرن الى اواخر سنة 1955 بمختلف الوسائل والأساليب مواكبين التطورات المدلهمة مشاركين، في معاركها الضارية المتوالية الحربية منها والسياسية، بعزم لا يفل وارادة لا تقهر. من غير ما ملل أو يأس أو كلل . رغم العزلة

الخانقة وضعف الامكانيات الضرورية لذلك. نعم. كان في طليعة المجتمعين الأبطال المغاور الأوفياء. شمس مبارك، سويلم الحبيب ، أحمد شنيط، السكال احمد زكرياء، زهير احمد الديب، البشير بن جوان، الشيخ بارا العبدلاوي، احسين بن عبلا الغزاوي. لقد اجتمعوا ـ مع المناضلين الجدد الشباب ـ ليتدارسوا الحالة ومتطلباتها وليخططوا لاستئناف الكفاح المسلح على النهج الذي سنه اباؤهم وأجدادهم الرواد الخالدون وتعهدوا بالمشي فيه حتى تتحقق آمالهم بالالتحاق بركب التحرر. هذا وبعد الدراسةالواعية المتأنية والتحليل العلمي المركز والمناقشة المعمقة البناءة، يخرجون متفقين بالقرار الايجابي الهادف الذي تمليه الظروف الدقيقة المتأزمة وتحتمه الأوضاع المتردية المنذرة بالخطر

قبيل هذه المرحلة الحاسمة الدقيقة بقليل، كانت هناك عدة شخصيات قيادية من جيش التحرير والمقاومة الشعبية قد شرعت بدورها تفكر بجدية في الأحداث المكثفة والتطورات المتلاحقة المعقدة التي تعرفها الأقاليم الجنوبية بأجمعها في آن واحد . وبعد تحليلها للحالة العامة الاستثنائية التي تسود كافة اقاليمنا المذكورة تحليلا علميا مجردا وموضوعيا. واثر تدارسها بعمق وجدية واخلاص مع استعراض انعكاساتها بمنتهى اليقظة والوعي والحذر. يخرج الجميع مقتنعا بما اقتنع به اخوانهم الباعمرانيون خلال الظروف نفسها ليصبح كل منهم عاقدا العزم على الذهاب في النهج السليم الصحيح الذي عن طريقه تتحقق الآمال فيالتحرير المنشود فكأن هؤلاء وأولئك كانوا كلهم في رهان مرصود وتجاوب مدروس واتفاق مسبق

الحلقة الحادية عشرة

الاستعداد للكفاح المسلح من جديد

. أجل، لقد كان هناك تجاوب تلقائي هام فيما فكر فيه كل من أبناء المنطقة المخلصين والأشخاص المقاومين الذين ينتمون الى قيادة جيش التحرير والمقاومة الشعبية. في نفس المرحلة تقريبا. على ضوء المعطيات الخطيرة التى افرزتها تصرفات الحكومة المغربية وما تولد عنها من مواقف عدوانية حاقدة من لدن الجهاز الاداري الاسباني. مما جعل الاتصالات تجري متواصلة بسرعة فيما بين هؤلاء وأولئك جميعا لعقد اجتماع طارئ في أقرب الآجال للتشاور والتنسيق من أجل البث السريع فيالخطة المتفق عليها تلقائيا ولوضع برنامج مدروس محكم يؤدي في النهاية الى مواجهة العدو باللغة التي لا يفهم غيرها معتمدين أساسا على امكانياتهم الذاتية ووسائلهم الخاصة لخوض معركة التحرير الشاملة عبر المناطق التى لم يشملها الاعتراف بالاستقلال. وبقيت منعزلة مطوقة مخنوقة ترزح تحت نير الاستعمار وتعاني يوميا من ويلاته المتصاعدة ابتداء من قبائل أيت باعمران الىحدود موريطانيا الشمالية مرورا بالقبائل التى تتصدرها كل من طانطان وطرفاية الى صحرائنا الكبرى التي ترصعها مدننا التاريخية ذات المواقع الهامة. (العيون) (بوجدور) (الداخلة) (سمارة) (بوكراع)، وغيرها ، الآخذة من تندوف شرقًا إلى المحيط الأطلسي غربًا .

هذا ، وقبل ان يضعوا خطة للتحرك المسلح، اتفقوا على ان يمهدوا لذلك بالسعي الحثيث والمتواصل من أجل اسناد الوظائف الادارية الهامة الأولى الى المقاومين الشرفاء (الذين شاركوا في مختلف المعارك التحريرية

ابتداء من المقاومة السرية المسلحة) الى جيش التحرير، عبر القبائل المتاخمة لمنطقتنا المتطلعة للخلاص ليتخذوا منها ميادين للتداريب العسكرية ومراكز لوضع الأسلحة المحصل عليها من مختلف المصادر، مع جعلها منطلقات مأمونة وقريبة من مواقع العدو المقامة عبر الحدود المجاورة ,لمهاجمتها عن قرب. وليسهل الكر والفر (عن طريقة حرب العصابات التي سنها بطلنا العظيم محمد بن عبد الكريم الخطابي) بالاضافة الى الدعم المادي والمعنوي المنتظر من سكانها المشتعلين يقظة وحماسة ووعيا. وبما أن العلاقة بين قيادة جيش التحرير والسلطة المركزية كانت في تلك المرحلة مطبوعة في الجملة بطابع التفاهم والاحترام المتبادل في شيء من التحفظ من هذاالجانب أو ذاك ، فقد استطاع مسؤولو المقاومة وجيش التحرير آنذاك ان يحصلوا على موافقةالمسؤولين من أجل توظيف الكثير ممن تقدموابترشيحاتهم للاهداف المذكورة. وبالفعل لم يمض غير ايام قلائل حتى يعين الأفراد المشار اليهم قوادا عبر القبائل المحيطة بالمنطقة المناضلة يديرونها باخلاص وتفان ويسهرون على مصالحها بكل صدق واخلاص وتضحية وهكذا يصبح المرحوم عبد العزيز الماسي مسؤولا عن القبائل التالية أكلو ـ الساحل ـ أيت ابراييم ـ اولاد جرار ـ وجان ـ رسموطة الساحلية ـ ماسة المعدر ـ الخنابيب.

الفقيه محمد الخنبوبي خليفة باشا تزنيت .

المناضل على ابرتي ، على القبائل التالية انزي وملحقاتها

المكافح محمد مروان : على القبائل التالية : بويزكارن ـ الأخصاص ايت الرخا.

المقاوم بدر عبد الله جوان الباعمراني : على افران والقبائل المجاورة لها.

المقاوم محمد بن موسى الريضى: على الساحل، طاطا، تلسينت.

المكافح المرحوم حمودي محمد الآسفي : على أقا ـ فم الحصن.

المناضل محمد اوهمو : على أيت بلها والقبائل المحيطة بها.

الوطني المرحوم الحاج احمد التكدورتي : على تافراوت والقبائل المجاورة لها.

المناضل محمد بن عمر المگوني : على ايت عبلا والقبائل المحيطة بها المكافح المرحوم عبد الرحمان الزيات قائد ممتاز عن دائرة باني هذا، وقد اتخذ قادة جيش التحرير من مركز دائرة گلميم الموقع الرئيسي للتداريب والتخطيطات والمنطلقات.

ذاك ما كان يجري عبر القبائل المذكورة المحيطة شمالا وشرقا بمنطقتنا التي لم يشملها النظام الجديد أما داخل منطقتنا الاسيرة فقد تطورت فيها الأوضاع على الشكل التالي. فنظرا للوضعية المزرية التى أصبح يعاني منها سكانها المخلصون اتفق مسيروها الرئيسيون بعد دراسة جديدة (وبعد اليأس المؤكد من اهتمام كبار المسؤولين بمصيرهم) على وضع برنامج للعمل في واجهتين مختلفتين في الطبيعة والأسلوب رغم تلاقي المقاصد نحو الأهداف البعيدة المتوخاة التي تتلخص في التحرير من السلطة الاستعمارية المكابرة والإلتحاق بركب التراب المحرر.



المقاوم المرحوم حمودي محمد الآسفي



المقاوم المرحوم عبد العزيز الماسي

المقاوم الأخ الريضي محمد بن موسى



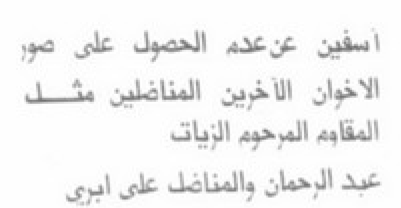
المقاوم الأخ محمد الخنبوبي



المقاوم الأخ بدر عبد الله



المقاوم محمد مروان



آسفين عن عدم الحصول على صور
الاخوان الآخرين المناضلين مثل
المقاوم المرحوم الزيات
عبد الرحمان والمناضل على ابري

الحلقة الثانية عشرة

الشروع في تطبيق القرارات الثورية

نعم كانت هناك واجهتان : واجهة سياسية محضة تعمل فيإطارها مجموعات من المناضلين تختلف مهام كل واحدة منها عن الأخرى، وتتقاسم المهام المطروحة حسب نوعية المشاكل والمتطلبات الضرورية الملحة العاجلة في الساحة يوميا من أجل ايجاد الحلول الناجعة لها. كل واحدة من هذه المجموعات مكلفة بالنظر في حل مشاكل معينة اسندت اليها لاعتبارات موضوعية قادرة على معالجتها في اسرع الآجال على اختلاف انواعها وطبيعتها. اجتماعية كانت أو اقتصادية أو قضائية أو غير هذه وتلك.

لقد كانوا يهدفون جميعا من وراء ذلك، العمل بجدية على تنفيذ القرارات المتخذة التي ترمي في العمق الى مقاطعة كل الأجهزة الادارية الاستعمارية على اختلاف اختصاصاتها.إشعارا لها بأنهم اصبحوا مستغنيين. عنها وعن المسؤولين عنها قادرين على تسيير شؤونهم المتنوعة بأنفسهم. وحتى تكون القرارات المذكورة ساريةالمفعول منفذة حرفيا وفي أحسن الظروف ، خصصت مجموعة منها للمشاكل الاقتصادية وأخرى للشؤون الاجتماعية وثالثة اللمنازعات الطارئة للبث فيها مهما كانت الأسباب والدوافع التي من المنتظر ان تقع في كل الأحوال والظروف ، وبالفعل تصبح كل المرافق الضرورية متمشية بجدية ونشاط وحماس وسرعة. ولم يكن هناك ما يحدث عراقيل للسير الطبيعي للامور العادية : اللهم الا ما كان يحدث من حين لآخر فيما بين الاسبانيين والمواطنين من نزاع بينهما فقد كان الأجنبي يذهب توا الى ادارته الخاصة بطبيعة المشكل المطروح ليعرض عليها مشكلته قصد البت فيها ، في حين كان المواطن ينضبط للقرارات

المتخذة فيأبى الا أن يرجع للجماعة المعنيةوالمخصصة للمشكل القائم. مما كان يؤدي في غالب الاحيان الى التدخلات من هذا الجانب أو ذاك. الشيء الذي كان يؤدي في الغالب الى مشاكل معقدة فيما بين الدخلاء والمناضلين المشرفين عن العمل في الواجهةالمذكورة، مما كان يتسبب في مضاعفات قد تتسبب في مواجهةعنيفة اواصطدامات خطيرة تكون لها في غالب الأحيان انعكاسات قد يستفيد منها هذا الجانب أو ذاك. أما الواجهة الثانية : فقد كانعملها سريا خطيرا تتخلص مهام مجموعاتها في نقطتين أساسيتين : الأولى لتصفية رؤساء المصالح الادارية التابعة للجهاز الاستعماري مدنية كانت أو عسكرية بالاضافة الى كل من له صلة ما بهذه او تلك من العناصر المشبوهة التي تتواجد في كل زمان ومكان بين المترفين المحظوظين أو في أوساط المتخلفين فكريا او عقليا أو خلقيا لسبب أو لآخر أما العنصر الثاني فقد كان همه الوحيد هو الحصول علىالأسلحة الخفيفة والمتوسطة بمختلف الوسائل والأساليب احتياطيا لما يمكن ان تتمخض عنه الأحداث المتلاحقة التي تشير بأن يوم المواجهة آت لاريب فيه ـ ، هذا ولم يمض غير قليل حتى تكوّن النتائج ايجابية مشجعة في كلتا الواجهتين . فمشاكل المواطنين كانت تحظى بالعناية التامة وبالحلول المطلوبة كما أن متطلباتهم اليومية كانت بدورها تلبى رغم ضعف الامكانيات اللازمة لها.

هذا. أما المهام الأخرى التي تكلفت بها مجموعات الواجهة الثانية فقد نفذت بدورها بمهارةونهاءواتقان. فقد اغتيل العديد من رؤساء الادارتين المدنية والعسكرية وغيرهم عبر مختلف المسؤوليات والمستويات بالاضافة الى طائفة العملاء والمتملقين. كما وقع الحصول على الكثير من الأسلحة المتنوعة الأشكال والأحجام مع المآت من المتفجرات والقنابل الموقوتة وغيرها، من الأعمال الجبارة التي قام بها اولئك الذين التحقوا بإيحاء من المجاهدين الأولين) بالجيش الاسباني عقب الأزمات التى عرفتها منطقتهم خلال سنة 1934 وما بعدها. في انتظار الظروف التي تتطلب منهم العمل لصالح أمتهم. وهكذا يصبح بفضل تواجد هؤلاء المنبثين داخل صفوف جيش العدو يستطيع المناضلون الأوفياء الحصول علىالأسلحة الضرورية للقيام بالتحركات اللازمة التي تخامر نفس ابناء المنطقة بأجمعهم من الطفل ذي الخامسة عشرة

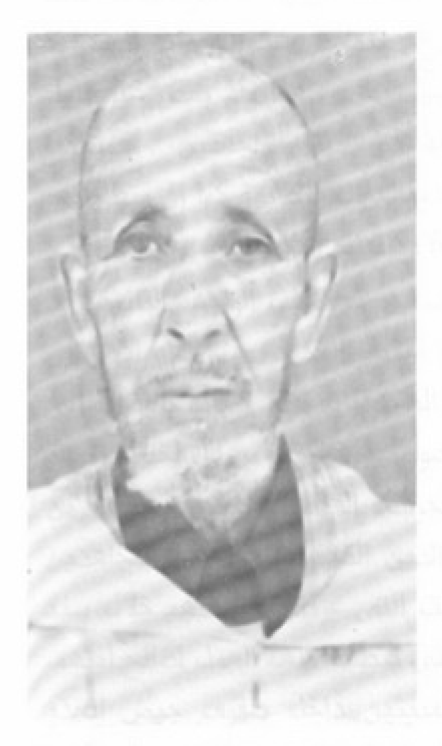
سنة الى الشيخ الذي اشرف على السبعين. وبعد الحصول على الأسلحة الضرورية يتم نقلها في أحسن الظروف الى المراكز المهيأة لها عبر القبائل المجاورة وفعلا تصل في الحين الى مراكز تزنيت ـ مير اللفت ـ فم الحصن ـ بويزكارن ـ گليمين ـ وغيرها ، وخدمة للتاريخ والحقيقة يجدر بي أن أقول بأن جميع الأعمال المنجزة في كلتا الواجهتين، كانت من تصميم وتحضير وابتكار لجنة ادارية مركزية كانت من وراء اعمال كل من الواجهتين بعناية فائقة ثم تشرف وتسهر على تنفيذها بمنتهى الحذر واليقظةوالوعي.

بعد سعي حثيث واتصالات متوالية متعددةاستطعت الحصول على بعض الصور لأولئك الأبطال المغمورين الذين تكونت منهم اللجان التي أشرفت على تكوينهااللجنة السالفة الذكر للقيام بالمهام الخطيرة المشار اليها عبر الحلقات. والتي نفذوهابحكمة ومهارة ودهاء مما جعل جيش التحرير بالجنوب يتكون وينطلق لصنع العجزات عبر الملاحم والمعارك الخالدة.

هذا ومما تجدر الاشارة اليه هو أن المرأة الباعمرانية كانت دائما بجانب أخيها أثناء الملاحم التي عرفتها منطقتنا المجاهدة. وقد استطعت الحصول على ثلاث صور لثلاث مجاهدات كن دائما مع الطلائع الأولية يبذلن التضحيات ويقدمن الخدمات مع العديد من اخواتهن المناضلات اللاتي طواهن الاهمال في جملة ما طوى.



المناضل الشهيد محمد كرتان



المناضل كريم محمد بن عبد الله اليوي



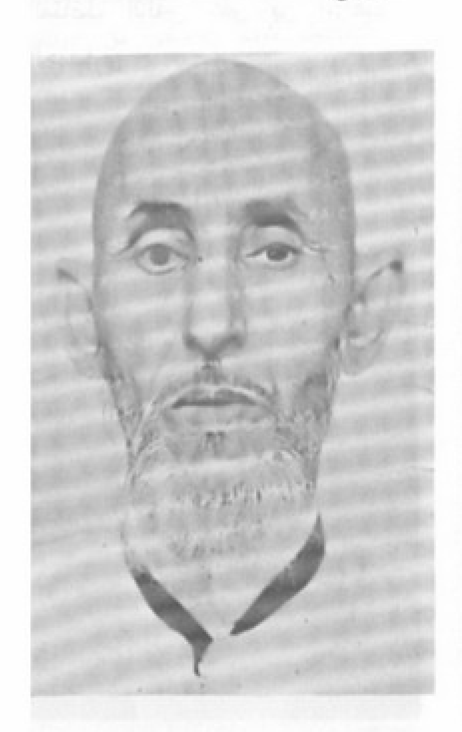
المناضلة خديجة الغريب من آيت يخلف



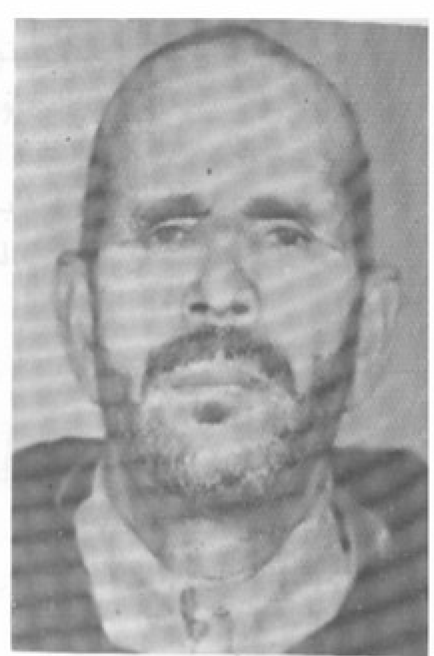
المناضلة زيدي العزاوية من آيت النص.



المناضلة عائشة اسماعيل الخلفاوية من آيت يخلف



المناضل بوجضاضي أحماد



المناضل الزلفي علي بن ابراهيم الخمساوي



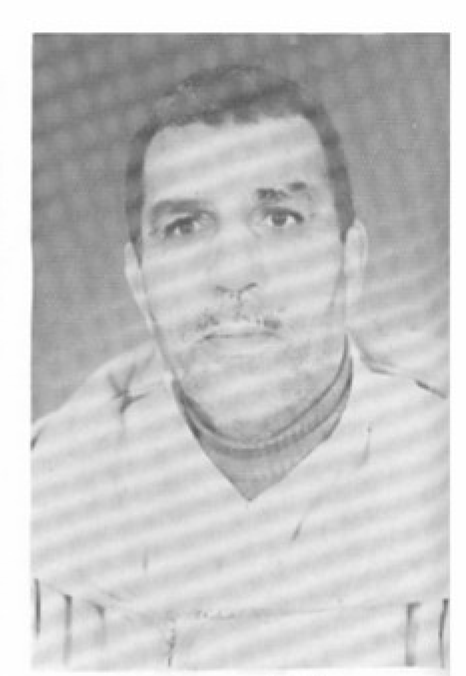
المجاهد محمد كابو خوبي



المناضل بومريس مبارك



المناضل محمد بليدو



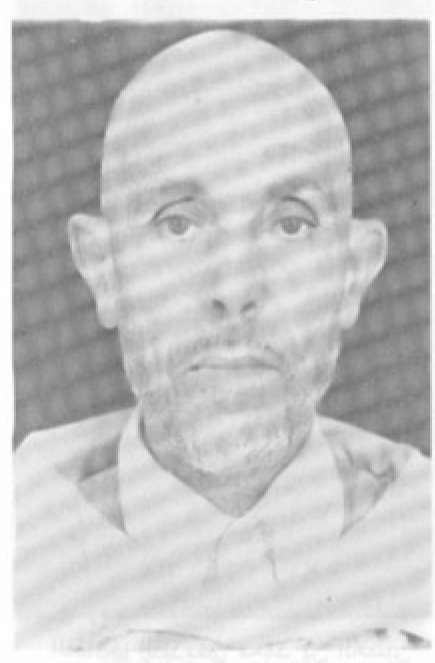
الشيخ محمد مومو



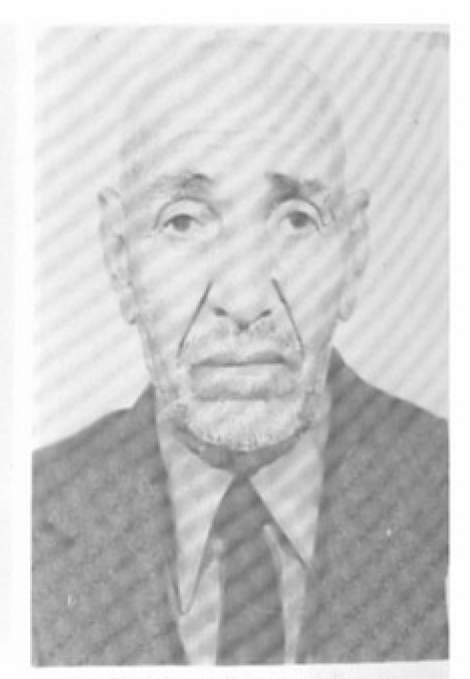
المناضل كريم الحسين بن ابراهيم البا عمراني

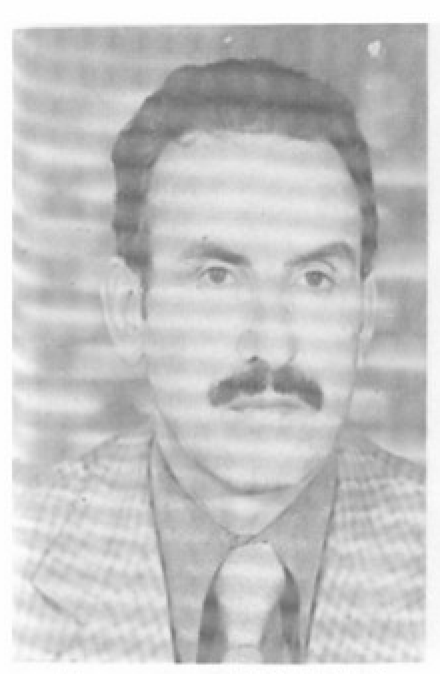


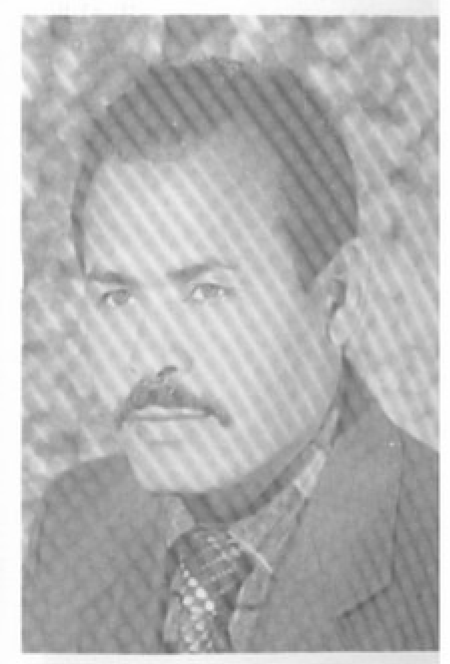
المناضل ابراهيم المدعو بالسائق



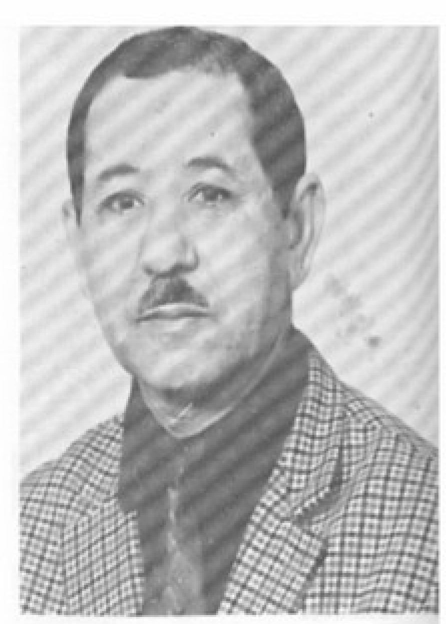
المناضل برو محمد بن البشير


المناضل ابراهيم الطيب المستاري

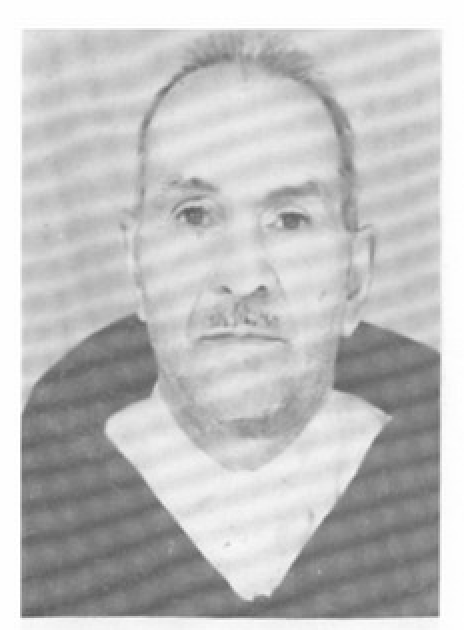

المناضل أباكا الحسين بن عبد الله


المناضل الصديقي محمد بن الحسين الخصاصي

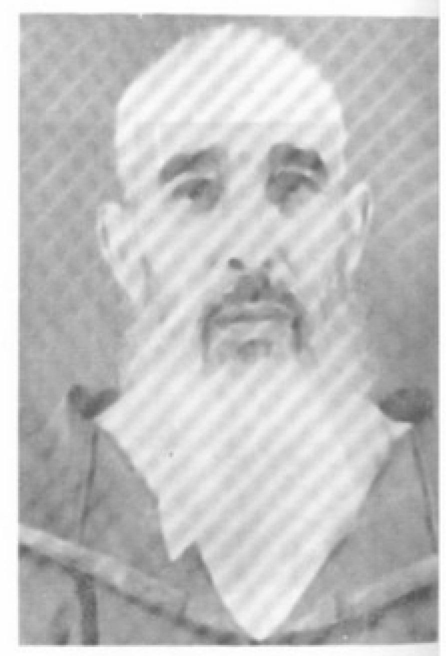

المناضل بوغابة عبد الله العبدلاوي



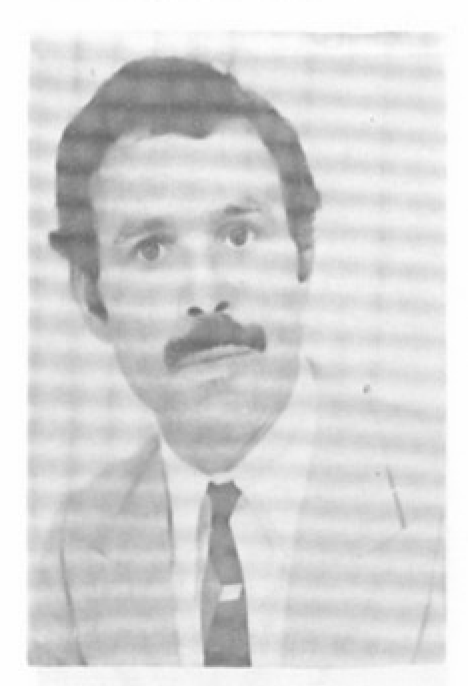
أكرزان بوجمعة الكسيمي



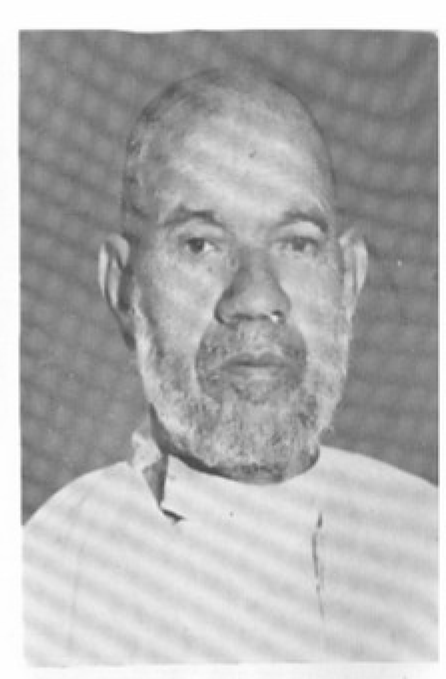
المناضل شمسي مبارك



المناضل أبا كريم الحنفي بن التهامي



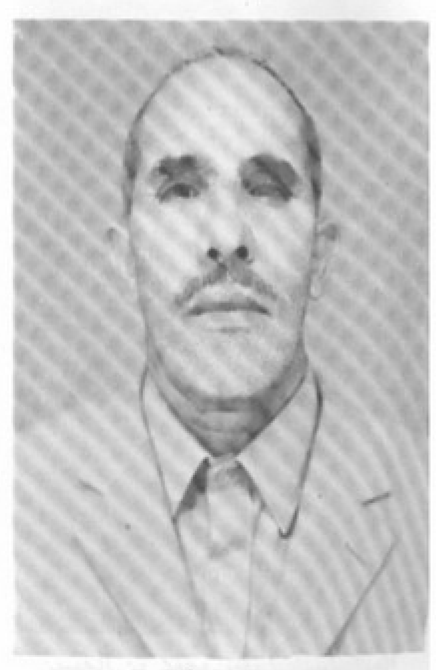
الشهيد بوكثير عبد الله



المجاهد العقيد ابراهيم اصيا



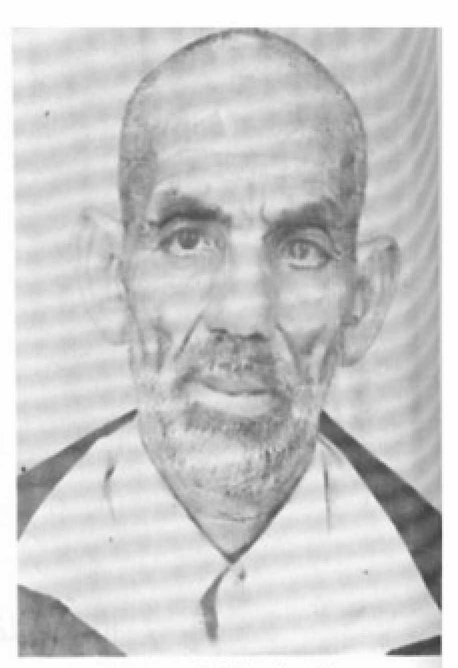
المجاهد الزهير احمد الذيب



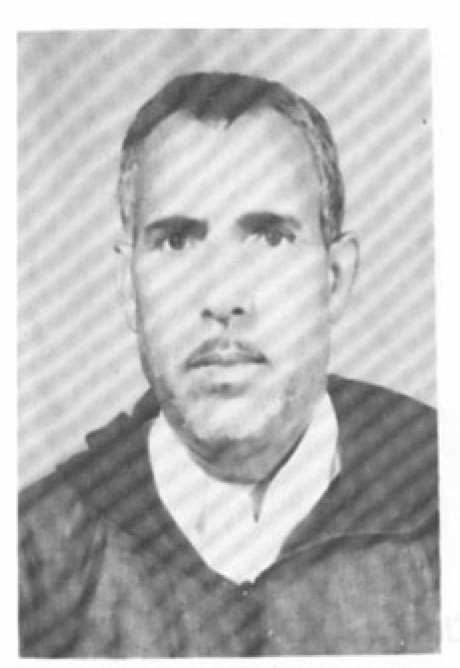
مرشد سويلم



المجاهد الاذيب احمد :كرياء



المجاهد الغزالي محمد



المجاهد كريم احمد بن ابراهيم الحصفاوي

الحلقة الثالثة عشرة

التعبئة المدروسة . تأتي بالانتصار الكاسح

... أثناء القيام بالمهام المحددة في اطار الواجهتين المشار اليهما في الحلقة الماضية، كان هناك عمل ثوري مسلح يحضر في سرية تامة مغلقة عبر دراسة مدققة مستوحاة منتجاريب حركة التحرير الشعبية للقيام بثورة تحريرية في تعبئة شاملة، تنفيذا للقرارات الحاسمة المتخذة من لدن اللجنة المحلية المشرفة على كل، الأعمال النضالية المنسقة على صعيد المنطقة بأجمعها بعد دراسة وتخطيط مع عدة افراد رئيسيين من قيادة المقاومة وجيش التحرير الذين كانوا متواجدين باستمرار لنفس الغاية عبر المنطقة الرافضة وعلى حدود القبائل المتاخمة لها.نعم كان العمل الجاد الحاسم يجري في جدية متناهية وحماس منقطع النظير،تحت اشراف عناصر مؤمنة مقتدرة تعهدت بالدعم اللامشروط للانتفاضةالكبرى الفاصلة;لها من الحنكة والكفاءة والتجاريب المتعددة في ميدان الكفاح المسلح ما يؤهلها للاشراف على المعارك الحاسمة بعد ما هيأت الظروف المناسبة والاجراءات اللازمة للشروع في تنفيذ العمليات الحربية الجريئة من أجل انهاء الوجود الاستعماري البغيض [الذي تصاعد قمعه واستفحل شره واحتدمت اطماعه وخبثت نواياه، عندما شاهد ولمس غياب المسؤولين الكبار وعدم اهتمامهم بما يجري داخل المنطقة المتمردة عليه بالاضافة الى تساقط العديد من رؤساء اجهزته العسكرية والمدنية وتصفية الكثير من أعوانه وأذنابه] .

وحينما نسعى للتعرف على هؤلاء القادة الذين رشحتهم كفاءتهم ومقدرتهم وتجاريبهم النضالية الطويلة لتطعيم القيادة المحلية من أجل خوض معركة التحرير للانسان والأرض نجدهم من الأوفياء الشرفاء الذين ترعرعوا بين

صفوف الشرفاء المناضلين الشعبيين الذين واكبوا الحركة الوطنية أثناء الاربعينات ودفعوا بها إلى اتخاذ المواقف الحاسمة، ثم انخرطوا في المقاومة الشعبية المسلحة التي بدأت ملامحها تبدو وتبشر بالنصر ابتداء من سنة 1952 بالاضافة إلى مجموعة من الشباب المؤمن المتبصر الذي وعى مسؤوليته التاريخية بحكم الظروف والأحداث والأوساط المتميزة التي عاشوا فيها وتأثروا بها فاندفعوا متحمسين لمحاربة التسلط والعدوان .

هذا وبكل اختصار نذكر بعض الأسماء التي تعرفت عليها عن كثب وعن آخرين بواسطة هؤلاء أو اولئك مبتدئا بصفة خاصة بمن سقطوا شهداء في ميدان الشرف ، الشهيد المسفيوي ، الشهيد مبارك منار، الشهيد ميلود الزموري تحتح، الشهيد ادريس الحارثي، محمد بن المختار قاضي ملال، المرابط محمد التسولي، كريم محمد بن ابراهيم الباعمراني، وغيرهم وكما أشرت سابقا فقد كانت لعملية التصفية الجسدية للعناصر المسؤولة في الآجهزة الاستعمارية وغيرها نتائجها الايجابية المنتظرة خلفت مجالا للتحرك بحرية واطمئنان عبر المواقع الحساسة والميادين الهامة فلقد اختفى من الميدان الغلاة وكل العملاء والمشبوهين نتيجة الرعب المدمر الذي بلبلهم وزلزل كيانهم وحطم معنوياتهم لما كثرت الاغتيالات في صفوف أقطاب الاستعمار واذنابهم وأصبح كل متهم نجا من التصفية ينزوي ويتوارى بعيدا عن الميادين العامة خوفا من المصير الأسود الذي آل اليه الكثير من المسؤولين الرئيسيين داخل أجهزة العدو سواءمنها العسكرية او المدنية مما جعل الساحة تخلو من العيون المترصدة والاذان المتلصصة والأنوف الشمامة المولعة باستنشاق الأخبار وتهويلها، ويدفع بالمناضلين الملتزمين الى الاسراع لتحديد يوم الانطلاقة الكبرى. وفعلا لم يمض غير قليل حتى يقع الاتفاق على اليوم والساعة التي تنطلق فيها الثورة العارمة.ويحل يوم 23 نونبر سنة 1957 ولم تكد الساعة السادسة من صباحه تدق حتى تنفجر الثورة الشعبية التي حددت لها الساعة المذكورة لتنطلق عارمة وشاملة عبر صعيد المنطقة المتهبة حماسا وايمانا.مستهدفة قوات العدو المرابطة عبر مراكزه المحصنة وحصونه المنيعة المقامة عبر المواقع الهامة داخل قبائل المنطقة باجمعها . وبما ان أبناء المنطقة كانوا كلهم تواقين الى الخلاص من نير الاستعمار

للالتحاق بالوطن الام. فقد كانو بأجمعهم تقريبا قد رشحوا انفسهم متطوعين ومزودين بكل ما يحتاجون اليه من تغذية وسلاح للمساهمة في المعارك التي كانوا يتطلعون اليها بمنتهى الشوق واللهف فكانت مشاركتهم في الثورة العامة شاملة ومكثفة ذات فعالية عظمى. الأمر الذي أصبحت فيه كل المؤشرات تؤكد بأن النصر أصبح أمرا محتوماً .

ان من عرف التجنيد العام الذي ساد كل القبائل بدون استثناء ووقف على الحماس الملتهب المتصاعد الذي فجر ايمان ابنائها.. يوقن بالنصر قبل وقوعه. نعم لقد كنت ترى الجميع في مسيرات صاخبة كبرى شبابا وشيوخا اطفالا وكهولا رجالا ونساء الكل يفيض عزما واصرارا ويتلهب ايمانا واخلاصا يستبق الطلائع فيحماس منقطع النظير. وتشتعل الملاحم في مختلف الواجهات والجهات ولم تكد تمضي بضع ساعات على الدخول في المعارك الملتحمة حتى يكون المجاهدون الشرفاء المستميتون قد احتلوا سبعة عشر مركزا من مراكز العدو الهامة بالاضافة الى الاستيلاء على الحصون والحاميات الهامة نذكر منها بصفة خاصة المراكز الاساسية التالية تبلكولت ـ اللالن ـ تاموشا ـ بنزرى ـ افند عيسى ـ ».

أما الحصون الهامة التي انتزعها المجاهدون المندفعون فهي بدورها كثيرة متنوعة نكتفي بالاشارة الى مواقع بعضها : تغزى ـ تالوين، اثنين أملو ، وكما كان منتظرا فان هذه الحصون والمراكز لم يحتلها أبطالنا المغاور الا بعد معارك ضارية وملاحم بطولية حاسمة تكبد فيها العدو العنيدالمكابر أفدح الخسائر واخطرها. في حين ان خسائر المجاهدين وضحاياهم كانت بالنسبة لما تكبده العدو اللئيم ضئيلة تافهة ـ مما جعل الأبطال المنتصرين يرددون في خشوع وابتهال قوله تعالى : (كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله، والله مع الصابرين) هذا ولقد غنم المقاتلون الأوفياء اثناء وعقب الملاحم البطولية الكثير من مدخرات العدو الحربية وغيرها مما يضيق عنها العدوالاحصاء. مما جعلهاتبقى هنا وهناك مكدسة متراكمة في مختلف الجهات والميادين. وقبل ان اختم هذه الحلقة يجدر بي ان اشير ولو بايجاز مقتضب لاهم المعارك التي حسمت الموقف وحقق بها المجاهدون الابرار جل الأهداف التي خططوا لها بمنتهى الحكمة والموضوعية والدهاء والذكاء،

وأحرزوا فيها على انتصارات باهرة اربكت العدو ودمرت قواته وانتزعت من المهتمين منتهى التقدير والاعجاب. فأذكر منها بصفة استثنائية معركتين مصيريتين كانتا لهما اكبر الأثر في احراز النصر في مختلف الواجهات ، انهما معركة بورصاص، ومعركة بنزرى اللتين تحطمت فيهما نهائيا قوات العدو على اختلاف المستويات مما جعل كيانه ينهد ويسوده الرعب والفزع. فيجزم بنهايته المفجعة ويتيقن بالانهزام الشنيع نظرا للخسائر الفادحة التي مني بها جيشه العرمرم المعزز بأحدث الأسلحة وأقواها، كما أن الكمائن التي نصبها الأبطال لقوات العدو المتنقلة وامداداته المتوالية قد دمرتها تدميرا، فكانت من أهم الأسباب التي أتت على تخطيطات العدو واحتياطاته مما ارغم فلوله الممزقة على الانسحاب من كل المواقع الداخلية لتلتحق في هلع وفزع وتخاذل وتمزق. بمدينة سيدي افني التي بقيت وحدها في قبضة العدو للاحتماء بمراكزها المحصنة وحامياتها القوية التي كانت تتوالى عليها الامدادات الحربية المتنوعة عن طريق مينائها الواسع الفسيح الذي يحتضنه الشاطئ العادي المنبسط وفعلا تتوافد الفلول الفارة من المصير المحتوم لتحتمي به إلى حين .

وبعد جهد جهيد استطعنا الحصول على بعض الصور لأولئك المناضلين الشرفاء الذين قادوا فصائل جيش التحرير باقاليمنا الجنوبية ابتداء من أواخر سنة 1957 الى اوائل سنة 1960 ونحن اذ نستعرض هذه نتأسف على عدم نشر الباقي نظرا لفقدانها او لغياب اصحابها لاسباب قاهرة.



المجاهد كريم محمد بن ابراهيم الباعمراني وبالاضافة الى ذلك فهو من مؤسسي حركة المقاومة المغربية خلال سنة 1953 ـ 1955.



المجاهد الشهيد ابراهيم بن عبد الله التزنيتي شارك في كل الأعمال المذكورة



المجاهد آيت يدر محمد بن سعيد شارك في كل الأعمال المذكورة سابقا



المجاهد بيري ادريس بن بوبكر شارك بدوره في الأعمال السالفة الذكر



المجاهد منار مبارك شارك في المقاومة السرية وفي قيادة جيش التحرير



المناضل ناضل الهاشمي شارك فيما
قام به الأبطال السابقون



المجاهد صالح بن عشو ساهم بجانب
اخوانه الأولين



المجاهد قاضي ملال عمل بجانب
رفاقه المخلصين ابتداء من 1954 الى
1960



المجاهد الشهيد على المسفيوي
ناضل عبر المسيرة المذكورة الى ان
استشهد



البطل الشهد ادريس الحارثي
ساهم في جيش التحرير شمالا وجنوبا خلال سنوات من سنة 1955 الى 1960، استشهد بسمارة سنة 1979



المجاهد محمد بن المختار، شارك بجانب اخوانه المقاومين واعضاء جيش التحرير الى حدود سنة 1960



المجاهد غاندي عمر المعروف بأدهمو قام بما قام به سلفه



المجاهد الشهيد
توحتوح ناضل من أجل التحرير والتحرر ابتداء من سنة 1953 الى 1960 استشهد في سبيل مثله العليا

الحلقة الرابعة عشرة

جيش التحرير ينطلق من منطقتنا لتحرير أقاليمنا الجنوبية الأولى

... إثر ذلك تستمر عمليات تطهيرية عامة لمختلف الجيوب والمنعطفات من مخلفات العدو عبر المعاقل والمراكز التي احتدمت فيها المعارك الضارية واندحر فيها العدو اندحارا شاملا ثم فر متخاذلا مخلفا فلوله المنهارة تتعثر بين الشعاب والآكام ليتعقبها المجاهدون الأبرار في يقظة وحذر، بعيدا عن الغرور والركون الا الانتشاء بنشوة النصر والفخر. وهكذا لم تكد تطل سنة 1958 : اي بعد الانتفاضة العامة الكبرى الأخيرة بما يقرب من اربعين يوما فقط حتى تكون منطقة الرفض والاصرار محررة طليقة (باستثناء مدينة افني المحاصرة) تنعم بالحرية التامة ويردد ابناؤها جميعا الأهازيج الحماسية الملتهبة مطاردين الفلول الممزقة المتلاحقة في ضياع مشلول وهلع مبيد.

أثناء هذه المرحلة التاريخيةكانت القبائل المجاورة لمنطقتنا من الجنوب مثل يكوت ـ أيت الحسن ـ ايت بوعطية ـ الزريقن ـ وما حولها قد انطلقت بدورها عقب الانتفاضة الكبرى تقاوم العدو من أجل توزيع قواته ومعداته وتمزيق صفوفه وجيوشه مما تسبب في معارك اخرى ملتهبة ادت الى تحرير اراضيها تحريرا شاملا بما في ذلك المدينتين الرئيسيتين الساحليتين طانطان وطرفاية ذواتي الموقعين العسكريين الهامين. ومن ثم انطلقت فرق الجيش الشعبي نحو الصحراء المغربية لمقاومة العدو وطرده. وحتى لا يتشعب بنا الحديث خارج منطقتنا المجاهدة نبقى مع هموم أبنائها الذين خصصنا لهم هذه الحلقات المختصرة.

فنظرا للامدادات العسكرية والمدنية المتنوعة التي كانت تتوارد على العدو المطوق بالمدينة الشاطئية عن طريق ساحلها الهادئ الرحب. استطاع

العدو ان يتحصن ويصمد مما جعل المجاهدون يقررون في الأخير الاكتفاء بتضييق الخناق عليه. ريثما تسمح الظروف وتتوفر الوسائل اللازمة لاقتحامها وتحريرها من الغاصبين.

وبينما هم يدرسون ويخططون للمعركة المرتقبة الفاصلة والأخيرة. اذا هم يفاجأون باجراءات جد صارمة من لدن السلطةالمغربية العليا جعلتهم يحتارون في خلفياتها ومقاصدها. ذلك أنه لم يكد يحل أبريل من سنة 1960 حتى يتدخل المسؤولون لاول مرة مباشرة ليأمروا فرق جيش التحرير المرابطة حول المدينة المحاصرة بالانسحاب التام والفوري من كل المواقع التي يحتلونها الى داخل الأراضي المغربية المعترف باستقلالها والالتحاق بالتكنات العسكرية التي يرابط فيها الجيش الملكي. وقد كانت ردود الفعل تكون غير حادة نسبيا لو اقتصر الأمر المذكور على الجيش الشعبي الذي يطوق مدينتنا المحاصرة. غير أنه بالأسف الشديد شمل وعم حتى تلك الفرق الشعبية التابعة لجيش التحرير التي كانت اكتسحت جل أقاليمنا الصحراوية الجنوبية وحررها تحريرا يكاد يكون عاما. ابتداء من الساقية الحمراء الى العرقوب قرب الداخلة بترس الغربية فما وراءها جنوبا الى الحدود الموريطانية وشرقا الى مشارف مدينتنا المغتصبة تيندوف.

وفعلا تنسحب فرق جيشنا الشعبي المكافح من المناطق المحررة المذكورة.والكل يتساءل ويتعجب في لوعة وحسرة .. حتى البكاء.ولا جواب .

مع العلم بأنه قبل هذه المرحلة الحاسمة من تاريخنا النضالي المشرق بقليل. كانت كل من الحكومتين الفرنسية والاسبانية قد شعرتا شعورا قويا بالخطر يهدد وجودهما معا عبر المناطق المذكورة بأجمعها. مما أهاب بهما الى اجراء اتصالات سرية متوالية لدراسة الحالة المنذرة التي أرغمتهما على التحالف من جديد ضد المد الثوري الشعبي المتصاعد* ـ مثلما فعلتا من قبل حول المنطقة الريفية خلال سنة 1925 ضد الثورة الريفية الرائدة ـ لدرء الاخطار المحدقة بهما حينما أصبحت تستهدف نفوذهما المتنوع عبر الجهات المختلفة التي كانت تحتلها كل منهما «اسبانيا عبر الصحراء المغربية ومنطقة سيدي افني وفرنسا على صعيد موريطانيا وغرب الجزائر الشقيقة

المحتلة» مما دفع بالدولتين الاستعمارتين - حفاظا على مصالحهما السياسية والعسكرية والاقتصادية وغيرها - الى التقارب والتضامن أكثر، من أجل ايجاد صيغة عسكرية موحدة مدروسة للقضاء نهائيا على الفرق الشعبية المسلحة المتعاطفة والمتطلعة أكثر بعزم واصرار الى التحرير الشامل عبر الوحدة الوطنية المشروعة. ذلكم التقارب والتضامن اللذان أسفرا عن اتفاق تام بينهما، الامر الذي كانت من نتائجه العملية العسكرية المشتركة الخطيرة المعروفة بالمكنسة التي نفذت تحت أنظار الجميع ضد تواجد جيشنا الشعبي المجاهد الشرعي من غير ما تحرك ايجابي من لدن المسؤولين. المواقف السلبية التي كانت هي الاخرى من وراء الاسباب الرئيسية التي ضاعفت من روح البلبة والاستياء وأذكت عناصر التدمر والسخط داخل صفوف جيشنا المناضل. وجعلته بالتالي يشعر من الاعماق بفقدان الدعم المعنوي الشرعي الذي كان يتدرع به عبر كفاحه المرير مما أرغمه في الاخير على الانصياع للامر الصارم الحازم - بعد تردد وتأمل - على الحالة المزرية التي أشرت اليها سابقا.

هذا، وحينما نأخذ هذه الأحداث وتطوراتها بالتحليل المنطقي المركز نجد تلك الإجراءات المباغتة كانت خطأ في خطأ خلقت بعد ذلك بقليل منازعات وحروبا بين الاخوة الاشقاء ما كانت لتكون أو تخطر على بال أحد لو بقينا هناك، في اقاليمنا الصحراوية متواجدين عن طريق جيشنا الشعبي المسلح بالاضافة الى أنها اجهضت ما كنا ننتظره حينذاك من تكوين وحدة قومية على صعيد المغرب العربي. وبالاخص فيما بين المغرب والجزائر وتونس تكون بعد انجازها منطلقا نحو اقامة وحدة قومية مصيرية عامة وشاملة تربط أجزاء أمتنا العربية من المحيط الى الخليج. وعوضا عن ذلك اصبحنا نعاني من ذلك سياسيا واقتصاديا وعسكريا حتى الآن.

وعقب ذلك بقليل تحدث مفاجآت مذهلة وتصرفات شاذة أخرى اثارت الاستغراب والتعجب ورسمت علامات الاستنكار على كل الوجوه. ذلك أنه لم تمض الا بضعة اشهر على الانسحاب المفروض غير المعلل حتى تقع مطاردات ومتابعات واعتقالات في صفوف قادة جيش التحرير بالاضافة الى العديد من اولئك القواد الاداريين الذين كانوا قد عينوا على رأس القبائل

المجاورة للمناطق التى لم تحرر، في اطار الخطة التحضيرية لعمليات التحرير لاقاليمنا الجنوبية. ثم تتفاقم المآسي حينما يقدم البعض من هؤلاء وأولئك، مع من ينتمي اليهم من قريب أو بعيد الى محاكمات باتهامات خطيرة لا يستسيغها ماضيهم الوطني المشرف. الاجراءات اللاإنسانية واللاأخلاقية التى لازال المغرب يعاني منها ومن سلبياتها حتى اليوم على مختلف الأصعدة. هذا واذا ما حاولنا التعرف بكل موضوعية وتجرد عمن كان وراءتلك الاجراءات التعسفية القمعية التي انصبت بكل مرارة وحقد على المناضلين الشرفاء بما فيهم العديد من المقاومين الأوفياء الذين كافحوا بصدق واخلاص ضد الوجود الاستعماري عبر ظروف قاسية الى أن ارغموه على الاعتراف بحق المغرب في الحرية والاستقلال ، ثم تابعوا نضالهم المرير ـ بعدما ركن الكثيرون الى الدعة والاستفادة من معطيات الاستقلال ـ من أجل تحرير اقاليمنا الجنوبية بما فيها صحراؤنا الحبيبة.

أقول اذا حاولنا التعرف على الذين تآمروا على اجهاض المبادئ المقدسة والأهداف المشروعة ثم كادوا للمناضلين المخلصين وأودعوهم عبر المعتقلات السرية والعلنية لينالوا ـ جزاء اعمالهم العظيمة ـ التعذيب القاسي والتنكيل الوحشي ثم يقدمون الى المحكمة العسكرية ليحاكموا بتهم مصطنعة بأقسى العقوبات وأشدها ضراوة لتحويل المغرب عن طموحاته المشروعة . نجد كل الدلائل تؤكد بأنها كانت من صنع الطاغية أفقير الذي كان يتحكم تحكما مطلقا في جهازنا الأمني عن طريق الدس والمكر والتزوير داخل المغرب وخارجه من غير ما مراقبة ولا مراجعة طيلة الستينات. ذلك الشخص المشبوه الذي كثيرا ما نددت الحركة التقدمية بتصرفاته اللامسؤولة وأشارت الى ماضيه المرتبط بعناصر استعمارية عليا مدنية وعسكرية.

هذا . أما بالنسبة لمصير البقية الباقية من الرواد الأوائل الذين اوقفوا الزحف الاستعماري المزدوج «الفرنسي والاسباني» في العقد الثاني من هذا القرن حتى لا يتعدى حدود منطقتهم الرافضة. فانه اذا اسعدك الحظ وسمحت لك الظروف بالانتقال الى حيث يوجدون. ثم تجولت في ربوعهم المقدسة ذات التاريخ الحافل بالأمجاد والملاحم واتصلت بمن تبقى من اولئك

الرواد على قيد الحيـــاة أو ممـــن كانت لهم صلة ما بأحدهم عن طريق الكفاح المسلح . فانك ستجد لا محالة في كل خيمة ومدشر وعبر الأكام والفجاج والصحاري ذكريات وذكريات مشرقة عبر الصمود الشعبي الطويل المرير. متجلية ناطقة مرتسمة على الجباه المُرتفعة والأنوف الشماء. ومن خلال النظرات الحادة المعبرة وعبر الزفرات المكبوتة والآهات المخنوقة من جراء الإهمال المزري الذي يعيشونه هم وأسرهم.. ومن السفاهة والتنكر المخزي الذي يعانونه من طرف جميع الجهات ، كما ستشاهد وتلمس آيات الاستنكار للسلوك اللاأخلاقي تجاه أبناء اولئك الذين صنعوا تاريخنا المعاصر المشرق والمشرف الذي يتوخى الحقائق بكل صدق ونزاهة وشجاعة من غير ما تملق أو تزييف أو تحريف. ويضع كل واحد في موقعه الطبيعي والواقعي التاريخ الذي اهمل ولم ينل الاهتمام المطلوب وانما هي اشارات عابرة خائفة مبعثرة موزعة هنا وهناك.

وأخيرا وكما قلت في مقدمة هذه الحلقات. فلنعمل جميعا على جمع شتات تراثنا النضالي الشريف وفي المقدمة ذو الاقلام السيالة والخزانات المكتظة بالمخطوطات والمستندات الهامة، الذين يتوفرون على الامكانيات الضرورية المادية والمعنوية شرط ان يصححوا مفاهيمهم. ثم ينزلون من ابراجهم العاجية الى حيث يعيش من تبقى من ابطالنا المهملين او ممن كانت لهم صلة ما بهم وهم كثيرون. ليتعلموا ويتعرفوا ويزيلوا الغبار عن امجادنا الخالدة وملاحمنا النادرة بناء لحاضرنا وتمهيدا لتشييد مستقبلنا لانه لا حاضر لمن لا ماضي له ولا مستقبل لمن لا حاضر له وخدمةللتاريخ والحقيقة اللذين بهما وعن طريقهما نصحح الأخطاء ونحافظ على وحدتنا المادية والمعنوية من التمزق والتردي ومن مكروبات الخراب والدمار.

9

لقطات ناطقة من ميادين القتال

خلال سنة 1957 ـ 1960

... في كل من منطقة آيت باعمران

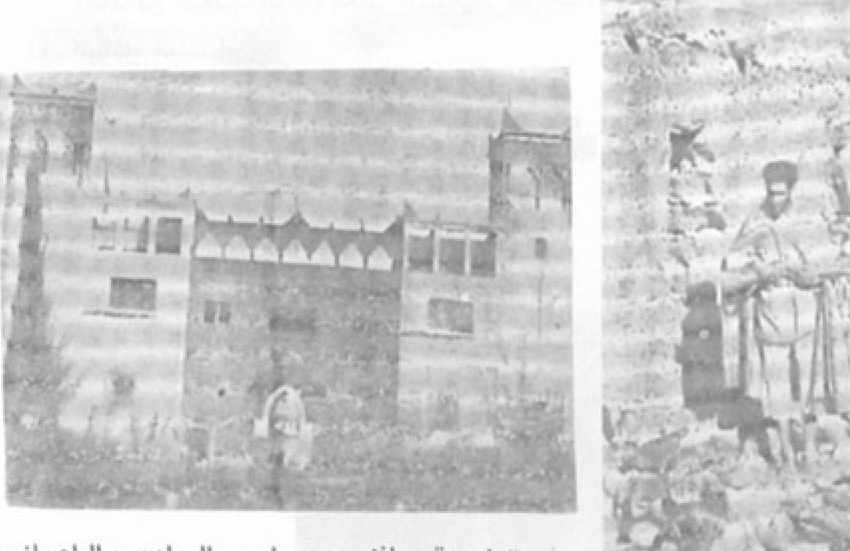
المجاهدة



القائد محمد بن المختار، صحبة نوابه العسكريين على أعراب الخلفاوي، ومولاي الحسن بوكرون بآيت يخلف (آيت باعمران) .



كريم ابراهيم من محمد اجوان مع مجموعة من المقاتلين بأيت يخلف (أيت باعمران).



أحد المجاهدين بمركز عركوب الواقع شرق مدينة ايفني بنحو 11 كيلومتر.

حصن تيغزي قرب افني بعد ما حرره المجاهدون الباعمرانيون وتظهر على جدرانه آثار رصاص المعارك



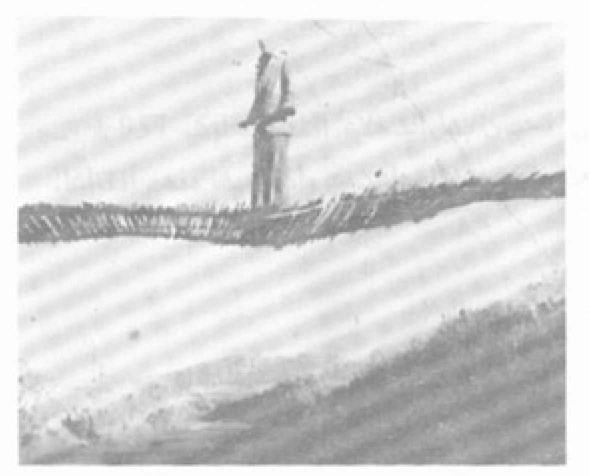
فرقة عسكرية بمركز تفخيت بايت يخلف يظهر في المقدمة الشهيد ادريس الحارثي، محمد بن المختار، المرابط محمد التسولي ، علي اعراب الخلفاوي، كريم الحسين بن البراهيم الباعمراني.



قنبلة لم تنفجر في تيغزي



يقظة المجاهديين الباعمرانيين في أحد المواقع المحررة القريبة من افني أواخر سنة 1957

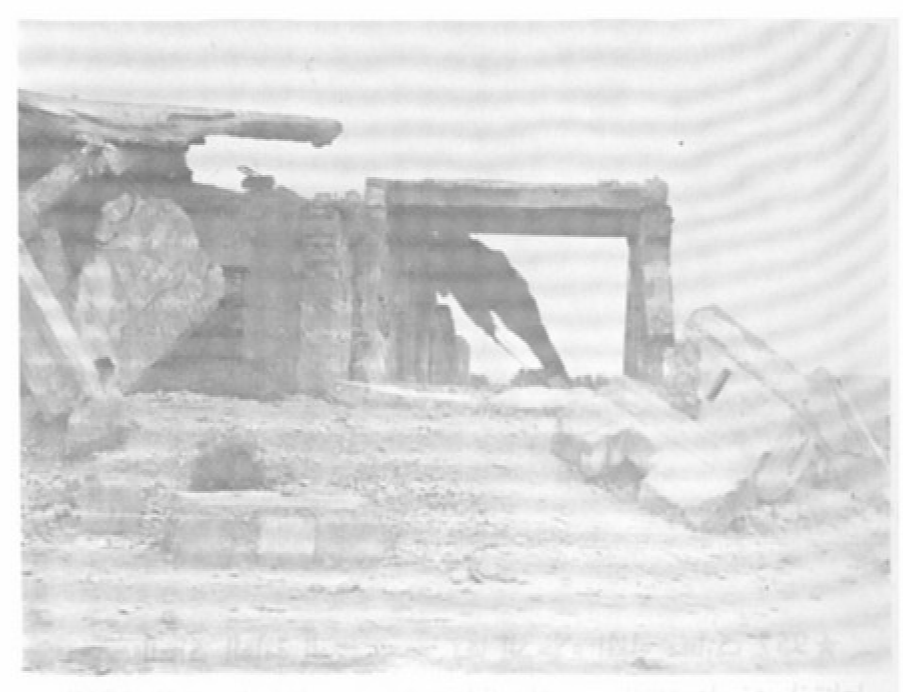


قنطرة من القصب من ابتكارات جيشنا الشعبي تربط ما بين ضفتي وادي تزكي قرب مدشر اجوان بآيت يخلف مع العلم بأن عرض الوادي المذكور يربو عن ثلاثين متر.



منظر آخر للقنطرة المذكورة حين استعمالها من طرف شخصين من أفراد جيشنا الشعبي.

بعض المراكز الهامة التي تحصن بها الدخلاء اثناء معارك 957★ ـ 1960 وانسحبوا منها بعد ما نسفها المجاهدون وانتزعوها منهم انتزاعا.



مركز اسك



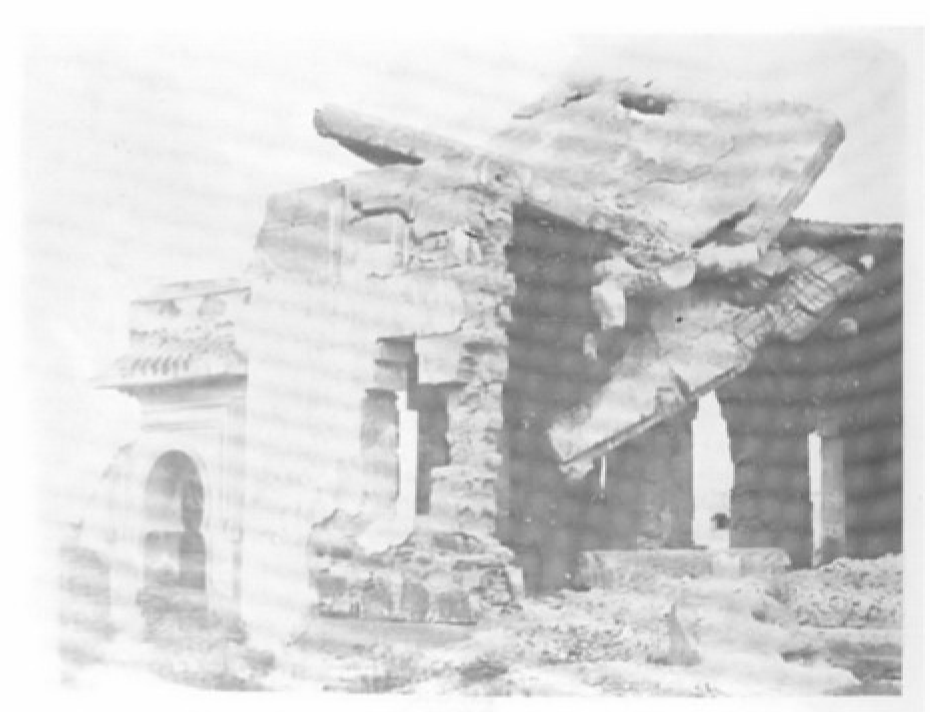
مركز ثلاثاء اصبوية



مركز املو



مركز تابروكوكت

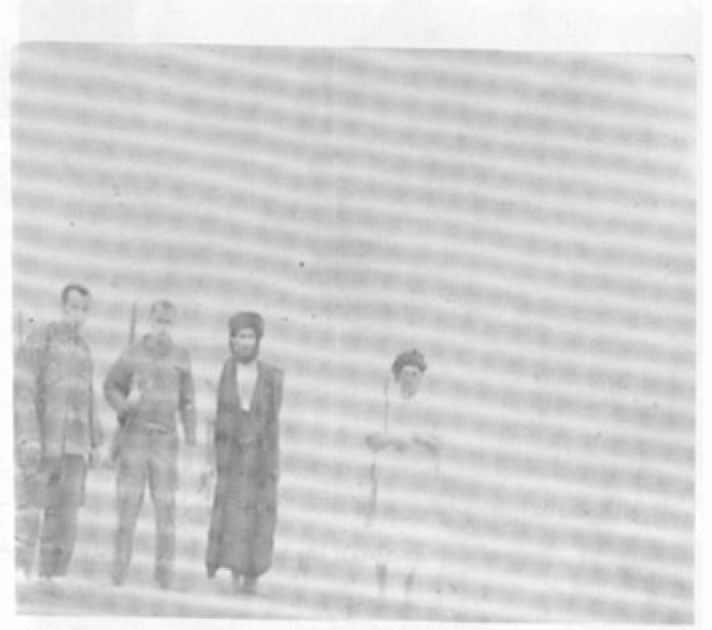


مركز تغزى.



مركز تاليوين

وعبر اراضينا المحيطة بطانطان وطرفاية



البطل الشهيد ادريس الحارثي صحبة رفيقه محمد بن المختار بناحية مدينة طانطان اوائل سنة 1958



مسؤولون من جيش التحرير بقيادة البطل الشهيد مبارك منار قرب طرفاية

وفي عمق اقاليمنا الصحراوية المسترجعة



البطل الشهيد منار مبارك صحبة مجموعة من نوابه في طريقهم الى أم العشائر بالصحراء المغربية الواقعة قرب تندوف المغتصبة



البطل الشهيد ادريس الحارثي ومحمد بن المختار صحبة مجموعة من نوابهم في جولة استطلاعية بناحية بوكراع بصحرائنا المسترجعة.



صورة لفرقة من جيش التحرير إثر رجوعهم من الهجوم الذي شنوه على معسكر العدو بالعركوب قرب الداخلة بترس الغربية في الثالث من يناير سنة 1958 يتوسطهم ناضل الهاشمي الحسين الباعمراني، محمد ولد باهاها الرقيبي، امهند ولد زيو الركيبي وغيرهم...

جماعة أخرى من جيشنا الشعبي في أحد المواقع الأمامية بصحرائنا
من بينهم الشهيد منار مبارك، ادريس بن بوبكر، ناضل الهاشمي



قواد صحراويون بمركز المسيد يظهر
من بينهم الشهيد نبيه.



بعض القواد من جيش التحرير بعد الانسحاب الذي وقع خلال أبريل سنة 1960 اثر التحاقهم باحدى ثكنات الجيش الملكي بأيت ملول. يظهر من بينهم الشهيد ادريس الحارثي، محمد بن المختار، الشهيد علي المسفيوي، مصطفى البيضاوي.

وأخيرا، ففى أوائل شهر نوفمبر سنة 1979 كانت مجموعة مــن المناضلين الاوفياء وفي مقدمتهم البعض من أولئك الابطــال الملتزمــين الذين قادوا الانتفــاضة التاريخية الكبرى التى انطلقت في فجر يــوم 23 ونبر سنة 1957 أقول كانوا قد حضروا جميعا ـ كعادتهم ـ مــن أجل اقامة حفل شعبى بمناسبة الذكرى الثانية والعشرين للانتفــاضة المذكورة بمدينة سيدي افنى . وطلبوا منى المشاركة في الاحتفال بكلمة أو قصيدة . وبالطبع استجبت شاكرا وذهبت صحبة بعضهم الى عاصمة منطقة الملاحم والبطولات. ومعى كلمة موجزة وقصيدة في الموضوع . أشرت في القصيدة بصفة خاصة الى النزاع المصطنع قربها عبر صحرائنا المسترجعة . بالاضافة الى دعوة مخلصة صادقة عامة موجهة الى كافة شعوب أمتنا العربية. بما فيهــم الحكام والمسؤولون الى نبذ الخلافات الهامشية والعمل من أجل اقامة وحدة قومية متفتحة شــاملة على أســس عادلة نتصدى بها متحدين لعدونا المشترك المتجسم في الاستعمار الجديد ووليدته الصهيونية الغاشمة النازية. غير أنه في ليلة اقامة الذكرى المحضرة ماديا وأدبيا تتدخل السلطة الاقليمية لتترأس الاحتفال المرتقب. وبعــد مشاورات مع المسؤولين على اقامة الحفل المذكور وقع الاتفاق مؤخرا على ذلــك شرط الا تراقب الكلمات أو القصائد المقرر القاؤها .

هذا، وبعد القائى للقصيدة التالية تحت الحاح الاخوان المناضلين المكرر عبر مكبر الصوت. أبى ممثل السلطة الاقليمية الا أن يعقب على مــا ظنــه خارجا عن الموضوع.

10



الاخ المجاهد عمر المتوكل الساحلي يلقي كلمته بالمناسبة في الحفل المذكور.

نداء التحرير ..
والوحدة الكبرى

ذكـرى الشهـامـة والابطـال والنجـب
أعظم بهـا من شعـار كاشـف الحجـب
ذكـرى الكـرامـة ، والامجـاد هـاتفـة
حلـت تثـير نضـالا ثـائـر اللهـب
حلـت تنـادي ضمـير الشعـب في أمـل
مـلء الحيـاة وعبـر أخلـد الكتـب
حلـت تغنـى شعـار المجـد عـن مهـل
فالشعـب من لحنهـا يهتـز مـن طـرب
رمـز عميـق عظيـم مـن مـآثـره
يشـير بالنصـر للتحـريـر للعـرب

* * *

ذكـرى البطـولـة والاصـرار ، مشرقـة
عبـر الكفـاح وعبـر أشـرف الحقـب
ابنـاؤهـا انتصـروا بالبـذل في زمـن
جـل الـوفـاء بـه للقـادة النجـب
أهـدافهـا أمـل الاجيـال في بلـد
تسمـو مـآثـره ألجلـى عـن العجـب
أبطـالهـا قـادة التحـريـر عـزمهمـو
نـار تسـير علـى أرض مـن الحطـب
أروى صـداهـا بألحـانـى فيـرفعنـى
اشعـاعهـا فـوق دنيـا اللهـو واللعـب

* * *

ليـس الكفـاح خطـابـا ثـائـرا شـررا
ينهـال في صخـب كالـرعـد عن كثـب

بل الكفـــاح نضـال صـامـت حـــذر
في ظلّـه يتـداعـى الظلـم في نصـــب
فسـل عبـاقـرة الـدنيـا علـى مهــل
فالظلـم لا ينمحـى باللغــو والخطــب
بـل بالصمــود أراه يختفـى هلعــا
في ذلّــة تنتهـى بالمـوت والعطـــب
المجــد لا يبتنـى باللهــو في دعــــة
والنصــر لا يجتنـى بالتيــه في الشعب

*　　*　　*

يـا أيهـا النـاس، هذا الشعـب مطمحـه
سلـم يسـود بـلا جـور ولا شغــب
ولا جحـود يضـيع العمـر في سفـــه
ولا هـــراء بفكـر سـافـل خــــرب
ولا عـــداء يثـــير الحقــد في عبــث
بـين العمـومـة في نار مـن الغضــب
ان العـدالـة ـ والتـاريـخ ينصفنـا ـ
نحيـي بهـا رحمـا يسمـو عن الحسـب
ان العـــداوة ـ والبغضـاء تحـرقنـا ـ
تحيلنـــا حطبـــا يخطـو على لهــب
بـذا ، وذاك ، وتلـك مـن فـواجعنـا
أحي جحيمـا عظيـم المــوج والعبـب
ننسـى الاخـاء وننسـى العـدل في نـزق
ننسـى روابطنـا في الـديـن والنسـب
أحكـى الكثـيـر ولا أرانـى منتهيـا
فالكـل في حنــق يسعـى لمحتــرب

*　　*　　*

الخصـــم ذاك الـذي يحتـل مقـدسنـا
يــدوسنـا صلفـا في مـرتـع خـرب
الخصـم ذاك الذي يشـــل أمتنـا
يستنـزف الـدم مثـل السـل والجـرب

الخصم ذاك الذي يصطادنا غنما
يسعى بنا بعداء عاصف لجب
الخصم ذاك الذي يغتالنا فكرا
يبيدنا سفها بالكيد والكذب
الخصم ذاك الذي أحالنا مللا
نحي التآمر في نار من الصخب
الخصم ذاك الذي أعادنا أمما
تحي على الحرب عبر الموت والهرب
الخصم ذاك الذي يبيدنا كمدا
أخطاره شرر تنهال في صبب
الخصم ذاك الذي يريدنا عبثا
يصوغنا غنما تقنى على سغب
الخصم ذاك الذي يمتص من كبد
عطشى تعيش على ضيم من النصب
الخصم ذاك الذي يبتاعنا خولا
يبيعنا جملة في السوق كالخشب
عمت كوارثه سادت مخاطره
أذنابه كثروا بالمكر والكلب

* * *

أستغفر الله ما أشقى ضمائرنا
نفنى غثاء على نار من الغضب
فأي عيش لنا في الكون مزدهر ؟
وأي حق لنا في العيش منتصب ؟
لكنما النصر حي في مداركنا
يهتز من شمم يختال في طرب
حيث المشاعل تغزو الليل في عالم
عاثت مظالمه بالجهل والشغب
حيث المبادىء أبطال مصممة
تهدي وترشد في عزم من اللهب

* * *

بنـــي العــروبــة جــاء العصـــر يحفــزنــا
لثـــورة ترجـــع الامجــــــاد للعـــــرب
نـــوحــد الهــدف الاسمـــى علـــى خطــط
ضــد التمـــزق ضــد القهــر والغلــــب
بالامس كنـــا وكـــان النصـــــر يصحبنــــا
في الشرق، في الغرب، في بيد وفي عبــب
واليـــوم نحـــي سعـــاة نرتجـــى سنـــــدا
مـــن العـــدو الـــذي يزهــــو بمغتصــب
يسعى لنـــا بيننـــا بـــالـــدس يضـــرمهـــا
نــــارا تحطمنـــــا بالكيـــــد والكــــذب
يمــدنـــا ، فنعـــانـــى الذل من مـــــــدد
فيــــه الخضـــــوع لـــه بالمكـــر والريـــب
تبـــا لـــه مـــن لئيــــــم آثــــم شـــره
يمتـــص منـــا دمـــا في منتهـــى التعـــب

* * *

فعـــــودة يـــا بنـــى عمـــى علـــى عجـــل
لـــوحـــدة تتحـــدى الخصـــم كالعبــــــب
نحمــــى تــراثـــا عظيمــــــا شابــه قلــق
تنفـــى عليـــه رداء الغبـــن والكـــــــرب
يعيــدنـــا لعهــــــود مشـــرقـــــات بمـــا
يصـــوغنـــا مثلا في الكون كالشهــــــب

* * *

آمنـــت ربـــى أن العقــــل محكمـــــــة
تـــرعـــى الحقـــوق بـــلا حيف ولا رهـــب
آمنت ربـــى أن العــــدل لا معجــــــزة
نـــرقـــى بـــه في جـــلال رائـــع السحـــب
نحنـــو الرؤوس لـــه في غبطـــــة طفحـــت
بالحـــب مـــن كبـــد تهتـــز مـــن طـــرب

* * *

أخي كفى صلفا فالخصم يحرقنا
يبيدنا عبثا كالتبن في اللهب
أخي كفى سفها، أخي كفى حنقا
صهيون تجرفنا بجيشها اللجب
أخي كفى هذرا ، أخي كفى عبثا
فالدين صاح . كفى . الى دم النسب
ان جئت ترنو الى احرار عن كثب
تجدهم جثثا في ظل مرتقب
والحقد موج رهيب من شراسته
يذكي العداء ويحيي جذوة الكلب

*　　*　　*

ضاعت أخوتنا بالكيد في غسق
شلت مداركنا بالغبن والريب
أبناؤنا في ضياع حاقد خطر
فذا شريد . الى شاك . فمكتئب
هذا سجين حزين في زنزانة
وذا طريد الى قاص ومغترب
وذاك يشكو الى الاقدار في ألم
مما يعاني من الاهوال ينتحب
مصيرنا أمتنا ينتابه نزق
يغتاله عبث من غير ما سبب
ضميرنا في شقاء دائم مارد
يصيح من كمد ينوح من غضب
على الشعوب شعوب العرب قاطبة
ان تغتدي أمة بالعلم والادب
تعيد للعرب أمجادا تواكبها
عبر الملاحم تعلى راية العرب
وتنمحي من محيط الكون مهزلة
نحي بها في شقاء حاقد لجب

*　　*　　*

ذكـرى التحرر والاحـرار والشـرف
مكتـوبة بـدم الابطـال والنجـب
مشحـونـة بلظـى الاخلاص مشرقـة
تسمـو بنـا في فضيـاء رائـع السحـب
مقـرونـة بخلـود الـروح بـاسمـة
تبـدو علـى الدرب في مـوج مـن اللهـب
ممزوجـة بـرحيـق الحـب تصبـو الى
عـدل كبـير سليـم القصـد والارب
منـذ القـديم وهـذا الشعـب ينشـدها
مطبـوعـة بجـلال الخلـد والعجـب

* * *

أبنـاء عمـى هنـا الاشـراق يرفعنـى
فـوق الحزازات فوق الشتـم والصخـب
أبنـاء شعبـى هنـا الاهـداف تـدفعنـى
نحـو الاخـوة في حـب وفي حـدب
نحـو التلاحـم ضـد الخصـم نحـرقـه
نبيـده بنضـال ثـائـر العبـب

* * *

نحـن الشعـوب اخـاء في قـداستـه
نـار تـذيـب سميـك الثلـج والسحب
آبـاؤنـا اخـوة في الـديـن مـذ درجـوا
فـوق البسيطـة نحو الفتح في لجـب

* * *

ذكـرى النضـال شعـار المجـد هـاتفة
تهتـز منهـا رواسـى الارض في الشعب
خصومنـا عبـر هـذا الكـون تسعـى الى
بقـائنـا لهـم في الـدرب كالـذنـب
نحـي الشقـاء علـى أرض تـوارثهـا
أبنـاء شعبـي حمـاة المجـد والنسـب

نرعى الدماء ونحن الروح قد سكنت
قلبا جريحا رعاه الدهر في غضب

* * *

صحراؤنا لهم في العمق لو رغبوا
وعانقوا مبدأ التحرير عن كثب
وآمنوا بمصير الكل واقتعدوا
متن القطار الذي يجري بلا نصب
أبى أبوهم وهذا الوعى يجمعنا
عبر الاخاء وعبر أقدس الكتب
فلنستعد السلام عادل يقظ
يزيل عنا غشاء الزور والريب
يغدو التفاهم عبر العدل مفخرة
عند الجميع بلا كيد ولا كذب
مقرونة بجلال الصدق نرصده
في غبطة تتحاشى النطق بالصخب
ويستوي الكل في دخل وفي مرح
وفي المفاهيم يغدو الترب كالذهب
العدل فينا شعار الحكم • واخجلى
متى تموت لدينا نزوة الكلب
ويغتدي الكل أندادا بمعلمة
مدروسة سلفا بالفكر والطنب
والعدل فهم سليم في شرائعه
نور يضيء سبيل العرض والطلب
والحكم حس عميق من مقاصده
حب يزيل ضباب الحقد والكرب

* * *

نحن الألى وضعوا التوحيد • غايتهم
وآمنوا ولهيب الظلم في ضبب

من الخليــج الى الاقصـــى بمـدخــر
مـــن المحيـط الـى الهـادي في حـــدب
فلتحـي أمتنـــا عبـــر المحيطـــات في
عـــدل كبـير يعيـــد ســؤدد العــرب
ولتحــي وحدتنـــا الكبـرى علــى شـرف
يسمــو بنـــا بـوفــــاء طــاهــر الأرب
ولتسم رايتنـــا النشـــوى علـى قمـــم
تــدعــو تنــادي نــداء النصر في طـرب
في ظـل معجـزة عظمـــى نعـــانقهـــا
ترقــى بنـــا صحبـــة الابطـال والنجـب
فيظـ ـل معجـزة العشـريــن ملحمــــة
ضــد التخلـف ضـد الجهـــل والسغـب
الاشـــتراكـيـــة المثلــى مـمـنـهـجـة
عبـــر المســاواة في حـــب من اللهـــب
تفنــى الصــــراع وتعلـى من مـداركنـــا
تمحــو فــوارقنـــا بالعـــدل عــن كثـــب


فهرس

طبع بدار النشر المغربية
5-13 زنقة الجنيدي روش
الهاتف: 24-51-47
الدار البيضاء

وفاء لأرواح شهداء حركة التحرير الشعبية والوحدة الوطنية بهذه البلاد .

يستعرض هذا الكتاب لمحات تاريخية مركزة عن كفاح أبناء منطقة آيت باعمران المجاهدة. ضد التدخل الأجنبي طيلة ربع قرن. معتمدين بالأساس على امكانياتهم الذاتية المحدودة. ووسائلهم البدائية الموروثة. رغم الفقر المدقع والحصار المضروب على المنطقة من كل الجهات .



رسم : عبد القادر الشاوي